" تقريـــر موجز "

عن دراســة علميــة رائـــدة

عن ظاهرة التسول وحياة المتسولين فى مدينة الاسكندرية

(أجراها الأستاذ محمود ابراهيم حسين

للحصول على درجة الماجستير من قسم الانثروبولوجيـــــا

كلية الآداب جامعة الاسكندرية فى عـــــــام ١٩٨٣)

اعـــداد

الدكتور ســيد عويـــــس

المستشار بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائيـــــة

١٩٨٤ / ١٩٨٥

* الايد البطالة نجسة .
* اللى ما يتعودشى على العمل ما يحوشى .
* بدل ما أقول للعبد ياسيدى أقضى حاجتى بايدى .
* اللى يعيش عفيف يعيش شريف .
* اللى يزهد فى اللى عند الناس يحبه الناس .

(أمثال شعبية مصرية)

" الاهـــداء "

الى الأستاذ محمود ابراهيم حسين الباحث العلمي الاجتماعي
اعترافا بجهده الكبير الذى بذلـه من أجل أن تخــــرج
هذه الدراسة العلمية الرائدة الى حيز الوجود ...

سيد عويـس

" فهرس الموضوعـات "

الموضوعـــات :	رقم الصفحـة :
الاهـــداء	٢
أولا ـ المقدمـــة	٤
ثانيا ـ المنهج الذى استخدمه الباحث وأدواته	٨
ثالثا ـ مضمون الدراسة	١٥
رابعا ـ أهم نتائج الدراسـة	٣٩
خامسا ـ بعض الملاحظات :	٤٦
١ ـ ملاحظات شكلية	٤٧
٢ ـ ملاحظات تتعلق بالمضمون	٤٨
سادسا ـ الخاتمـة	٥٣
من الانتاج العلمى لكاتب التقرير	٥٧

xxxxxxxxxxxxxxxx

أولا - المقدمـــــة

يلاحظ أن السيد الباحث قد اهتم بظاهرة التسول وحياة المتسولين فى مدينة الاسكندرية على الرغم من أنه وجد فى ضوء الاحصاءات الرسمية أن عددهم يتناقص على مر السنين (أنظر صفحات ٢٢ ـ ٢٥) • وقد اعترف الباحث بهذه الظاهرة أى ظاهرة تناقص عدد المتسولين • وأرجع ذلك الى عوامل ذكر منها فاعلية الدور الايجابى الذى يقوم به رجال الشرطة من أجل القضاء على ظاهرة التسول ، وذكر منها أيضا وعى الجمهور بحقيقة التسول " هذا الوعى الذى بدأ يتزايد فى وقتنا الحاضر " ، وذكر منها كذلك " ازدياد طبقة المثقفين بمصر وتناقص معدل الجهل بها " ، وفضلا عن كل ذلك أضاف الباحث عاملا آخر هو " تغاضى معظم الناس عن بعض الرواسب الثقافية التى تساعد على انتشار التسول " • وقد يوافق قارئ هذا التقرير الموجز على ما قاله السيد الباحث كله أو بعضه وقد لا يوافق • ولكن الباحث أغفل أن صور التسول أنواع وأن معظم هذه الصور من الصور غير المنظورة أو الصور الخفية • ونحن نعلم أى الكاتب والقارئ الشئ الكثير عن " الحسنات المخفية " النقدية والعينية التى يجود بها المحسنون من أعضاء مجتمعنا ونساء لنذر أو ارضاء لضمير أو تقربا الى الفضيلة أو ربما نفاقا • وقد ذكر السيد الباحث فى مضمون دراسته ما يؤكد ذلك • فنراه يذكر " أن هناك فئة من الرجال المحسنين يأتون الى هذا المكان (يقصد المكان الذى يقيم فيه زعيم المتسولين) ملثمى الوجوه وذلك ايمانا منهم بأنه لابد من اخفاء شخصياتهم حتى لا يضيع الأجر والثواب الذى يعود عليهم نظير فعلهم الخير " (أنظر صفحة ١٥١) • وصناديق النذور الموجودة فى دور العبادة فى المجتمع المصرى لا تخفى على أحد ، وروادها وخاصة فى المواسم والأعياد ومناسبات موالد القديسين والأولياء يراهم الناس وهم يتهافتون على وضع نذورهم فيها من النقود ويحاولون ما استطاعوا أن لا يراهم أحد ولكن تجدهم فى سبيل تحقيق هذا المأرب فى العادة واهمين • كل ذلك يؤكد وجود الصور العديدة النقدية والعينية من التسول الخفى أو قل " الاحسان الخفى " التى لا يمكن أن تصل الى الاحصاءات الرسمية •ومن ثم فان حجم التسول فى المجتمع لا يمكن أن يعرفه أحد •

وانني في ضوء ماسبق أذكر حديثا جرى بيني وبين أحد المسئولين عن مقدرات الأمور في مصرنـا الخالدة • كان يرى هذا المسئول أن مشكلة التسول في بلادنـا من اليسر أن نواجهها وذلك اذا أقلع المحسنون عن احسانهم للمتسولين • وصاح مؤكـدا إذ كان الحديث في اجتماع بحضره آخرون ان المصرى المحسن اذا كف عن احسانه قضى على التسول في مصرنا الخالدة • تماما كما قال آخر انه اذا كان الطلب على المخدرات بأنماطها يخلق عرضها فان على أعضاء المجتمع المصابين بتعاطى المخدرات أن يكفوا عن طلبها • وكأن اقلاع المحسن عن احسانه للمتسول أو كأن كف متعاطى المخدرات بأنماطها عن طلبها مسألة يسيرة • ونسى الشخص الأول أو لعله أن يكون قد تناسى ، كما فعل ذلك الشخص الثانى ، انه على الرغم من وجود القوانين والعقوبات ونفور الرأى العام فان المحسن مازال يحسن وأن متعاطى المخدرات بأنماطها مازال يتعاطى (

انني مع السيد الباحث إذ يقول على الرغم من أنه وجد في ضوء الاحصاءات الرسمية " المنظورة " أن عدد المتسولين يتناقص على مر السنين " •••• ولقد أصبح من الأهمية بمكان دراسة الموضوع (يقصد موضوع الرسالة) لما له من آثار اجتماعية واقتصادية واعلانية وصحية وتربوية سيئة تهدد كيان مجتمعنا المصرى ، حيث إنها تفقد هذا المجتمع جزءا من طاقته الانتاجية وذلك بسبب أن هناك فئة من المتسولين تتخذ من التسول حرفة تتكسب منها ووسيلة مشروعة للعيش ، وهى تتفنن في صنع العاهات المختلفة لاستدرار عطف المتصدقين من الجمهور " (أنظر صفحة د) •

والملاحظ أن الباحث قد اعتبر فئة المتسولين كما يبدو في عنوان الرسالة أنهم يعيشون في مجتمع سماه " مجتمع المتسولين " ولا أعتقد أن مفهوم المجتمع في ضوء تعريفه الثقافى الاجتماعى ينطبق على مجتمع المتسولين • وذلك لأن من المتسولين من يكونون فئة من أعضاء المجتمع يمتهنون مهنة التسول وربما كانوا يمثلون احدى جماعاته

ذات الثقافة الفرعية . وسنرى فى ضوء عرض موضوع التقرير الموجز الحالى اذا كان ذلك صحيحا أو غير صحيح .

واذا كنت سأتحدث عن المنهج الذى استخدمه الباحث وأدواته فى موضعه من الدراسة الموجزة الحالية ، فاننى لابد أن أشيد بشجاعة الباحث فى استخدامه طريقة التعايش عن طريق المشاركة (أنظر صفحة د) على الرغم من رفض مديرية أمن الاسكندرية اعطائه تصريحا يخول له أن يتقمص شخصية المتسول ويمارس التسول وتنبيهها إياه بأنه اذا ضبط فى حالة تسول من جانب رجال الشرطة فانه سوف تقع عليه عقوبة جريمة التسول (أنظر صفحة م) . وبهذه المناسبة يسرنى كل السرور بأن أشيد بفضل الأستاذ الدكتور على أحمد عيسى أستاذ الانثروبولوجيا بكلية الآداب جامعة الاسكندرية الذى أشرف على هذه الرسالة ، والذى ما فى ذلك من شك قد شمل الباحث برعايته ووهب له الوقت الكافى وبصره بعلمه الغزير حتى خرجت الى حيز الوجود ، كدراسة رائدة رحبت بها عندما علمت ببدء اجرائها ، وهأنذا أؤكد هذا الترحيب بالتقرير الموجز الراهن الذى أقدمه عنها ، والرجاء التوفيق .....

xxxxxxxxxxxxxxxxxx

ثانيا - المنهج الذى استخدمه الباحث وأدواته

توقعت ان تتضمن مقدمة الرسالة بعض النقاط الهامة مثل دواعي اختيار موضوعها وأهميته ومجالات الدراسة الزمنية والجغرافية والبشرية وشرح أهم المفاهيم التي تتناولها الدراسة (مفاهيم الدراسة الانثروبولوجية التطبيقية والانساق والتسول مثلا) • وتوقعت أيضا أن أجد في هذه المقدمة المنهج الذي استخدمه الباحث والأدوات التي يسرت له جمع المادة العلمية الميدانية فضلا عن الصعوبات التي صادفت الباحث وهو يقوم باجراء الدراسة التي تضمها الرسالة •

وقد وجدت معظم هذه النقاط الهامة مدونة في المقدمة دون ماترتيب• لقد دون الباحث مادون من هذه النقاط الهامة من غير أن يشعر القارئ بأنها نقاط هامة • بل نراه قد زاد عليها نقطة أخرى وهي "الغرض العلمي " الذي زعم السيد الباحث أن بحثه يقوم عليه • (انظر صفحة ط) • ومع ذلك فالملاحظ أن الباحث لم يبد لمن يقرؤه أنه يملك وضوح الرؤية الذي يعني امتلاكه لناصية الموضوع الذي عانى ماعاني من أجله الى الدرجة التي أصيب فيها بالتسمم نتيجة التلوث الذي تعرض له في أثناء إجراء دراسته • (انظر صفحة ط) • ولعل ذلك أن يرجع الى حماسة هذا الباحث الزائدة على الحد • ولعله أيضا أن يرجع الى محاولته للوصول الى الكمال كما يراه هو لا كما يراه ويحرص عليه المنهج العلمي الذي اتخذه نبراسا لدراسته •

لقد ذكر السيد الباحث أهمية الموضوع الذي تناوله وعالجه أو حاول معالجته علميا • وبعد ذلك ذكر دواعي اختيار هذا الموضوع وقال انه " لم يعثر على بحث اجتماعي مستقل بذاته عنه" (أنظر صفحتي د و هـ) •أي لانه لم يعثر على بحث اجتماعي مستقل بذاته عن التسول أو عن المتسولين • فان مثل هذا البحث يكون لا وجود له • وهو بذلك يوهم القارئ وهو حسن النية مافي ذلك من شك ان مالايراه لا وجود له أو أن مايراه فقط هو ما يعتقد بوجوده !! (قمت بالاشراف على " بحث تشرد الاحداث " الذي نشره المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في عام١٩٦٣•كما قمت بالاشراف على بحث"التسول عند النساء" قامت باعداده الزميلة عبلة حسن الافندي في عام١٩٦١) •

اما مجالات الدراسة الحالية فقد ذكرها الباحث بنفس الأسلوب غير المرتب. ذكر المجال الجغرافي في صفحة (د) وفي صفحة (و) وفي صفحة (ز) وفي صفحة (ط) ، ذكر هذا المجال متناثرا . وذكر المجال الزمني متناثرا أيضا على صفحات المقدمة . وقد لاحظت أنه ذكر ان الفترة التي قضاها في " مؤسسة الاحداث شديدى الانحراف" كانت من ١٩٨١/٦/١ الى ١٩٨١/٩/١ . ذكر ذلك في صفحة (م) ولكنه في صفحة ٣٠٥ ذكر أن هذه الفترة أى الفترة التي قضاها في هذه المؤسسة كانت من ١٩٨١/٤/١ الى ١٩٨١/٥/٣٠ !! وكان أهم مجال مكاني ذكره السيد الباحث هو شوارع مدينة الاسكندرية عندما تقمص شخصية متسول في هذه الشوارع. تقمص هذه الشخصية وذهب الى المجهول يواجهه في شجاعة. وعاش بين المتسولين المحترفين كواحد منهم لمدة ثلاثة شهور مما أتاح له فرصة التعرف على أوجه النشاطات المختلفة في محيطهم وطبيعة العلاقات الاجتماعية التي تسود بينهم . ومما ذكره الباحث انه استطاع أن يقتحم هذا المجهول ويواجهه عندما ساعده " كفيل " وهو متسول قديم ضمن الباحث لدى زعيم المتسولين مؤكدا له انه شخص عادى ولن يتوقع من وجوده بينهم أية خطورة ! . وفي صراحة الباحث العلمي الاجتماعي الجاد والمتحمس مما ذكر السيد الباحث انه تعرف على هذا الكفيل في أثناء قيامه بالبحث الميداني عن حياة المتسولين المودعين بملجأ الهداية بالاسكندرية ، وقد علم الباحث منه رغبته في الزواج فأوهمه انه سوف يزوجه شقيقته المتسولة (أى شقيقة الباحث !) وذلك نظير اتاحة الفرصة له لكى يدخل " مجتمع "المتسولين المغلق ! وبالفعل تحقق للباحث مايصبو اليه.

ومن حيث المنهج الذى اتبعه الباحث فتراه يذكر في المقدمة انه استخدم أساليب ، غير الأسلوب الاحصائى أو الأسلوب القانونى ، في معالجة التسول تتمثل من ناحية في حصر الدراسة في مجال جديد هو مدينة الاسكندرية ومن ناحية أخرى

فى استخدام طريقة التعايش عن طريق المشاركة • ومن ثم فان المنهج الذى اتبعه هو المنهج الانثروبولوجى •كتب الباحث هذا المفهوم باللغة العربية كما كتبه باللغة الانجليزية • وبما ان الآخرين لم يتبعوا هذا المنهج فقد آلى الباحث على نفسه ان يستخدمه " عله يستطيع الكشف عما خفى من أسرار هذا العالم (يقصد عالم التسول والمتسولين) •• (أنظر صفحة هـ) - كان السيد الباحث واضحا الى حد بعيد •وتضمن هذا الوضوح احترام قارئه الذى كان عليه أن ييسر له الطريق لكى يفهم مايهم الباحث أن يفهم فهما موضوعيا • ولكنه أى الباحث مالبث أن قفز فى صفحة (و) ودون سابقة انذار ليقول " وقد استخدم الباحث المنهج البنائى الوظيفى ••• فى معالجة هذا الموضوع وذلك لكى يتعرف على العلاقات الاجتماعية المتشعبة التى تسود بين أعضاء هذا " المجتمع " •فتعرض للبناء الاجتماعى له ومايشتمل عليه من أنساق اجتماعية •••• " •ثم ذكر أنه استفاد فى هذا الصدد من النظرية البنائية عند " ليفى استروس " والتى تبحث عما خفى فى أغوار النفس الانسانية على اعتبار ان هذه الظواهر الخفية هى المحرك الاول لنشاط المتسولين !!

وذكر السيد الباحث انه بالاضافة الى ماسبق استخدم " المنهج المقارن " حيث •كما يقول • إنه قارن بين الطرق المتبعة لعلاج " الفقر " فى كل من المجتمعات " الاسلامية " والمجتمعات " الغربية " وكذلك قارن بين هذه الطرق المستخدمة فى هذه المجتمعات وبين الطرق المستخدمة فى مصر • كما قارن بين أساليب التسول فى مستويات ثقافية مختلفة بمصر حضرية كانت أو ريفية أو بدوية • ثم قارن بعد ذلك كله بين أساليب التسول بمصر وأساليب التسول بالمجتمعات الاخرى الشرقية منها والغربية موضحا أوجه التشابه والاختلاف بين هذه المجتمعات والاسباب الداعية اليها • وكل ما عالجه الباحث فى هذا المجال كان علاجا نظريا استقاه من مراجع شتى •منها ما عفى عليها الزمان •والنادر منها مايعتد به ويعتمد عليه •

والملاحظ أن أهم أدوات التى استخدمها السيد الباحث هى :

١ - اداة الملاحظة بالمعايشة أو التعايش عن طريق المشاركة .
٢ - اداة دراسة الحالة . (يمكن اعتبار دراسة الحالة منهجا قائما بذاته) .
٣ - المقابلات المفتوحة .
٤ - استخدام بعض الاخباريين .

وليس لدى ملاحظات على أداة الملاحظة بالمعايشة أو التعايش عن طريق المشاركة . بل على العكس فاننى كنت أود من الصميم أن يقتصر عليها اما وهو مع جماعة المتسولين يجوبون الشوارع وهم يمارسون مهنتهم أو عندما أتيحت له الفرصة لكى يعيش فى ملجأ الهداية بالاسكندرية حيث عايش كنزيل فى هذا الملجأ نزلاء فى خلال الفترة من ١/٩/١٩٨٠ الى ١٥/١٠/١٩٨٠ ليلا ونهارا . ان المادة العلمية فى ضوء خبرة السيد الباحث التى جمعها عن طريق هذه الاداة والتى يحتويها مضمون الدراسة التى تضمها الرسالة مادة ثمينة جدا . وكانت وحدها تكفى وزيادة لكى يجعلها السيد الباحث محور اهتمامه أقصد المحور الوحيد لهذا الاهتمام . إن التاريخ أقصد تاريخ البحوث والدراسات فى محيط الجريمة بصورها والمجرمين على اختلافهم يذكر احد علماء علم العقاب الاميريكيين " توماس موت أو سبورن " الذى أصر على أن يودع نفسه فى سجن " اوبورن " فى ولاية " نيويورك " بقصد دراسة ظروف هذا السجن وهو يواجهها مباشرة وجها لوجه . ونجح فى ذلك بعد ان اقنع المسئولين . ومكث فى هذا السجن تحت رعاية مديره لمدة أسبوع واحد . كان ذلك فى عام ١٩١٣ . وفى عام ١٩١٤ عين مديرا للسجن المشهور " سنج سنج " . وكانت نتائج دراسة هذا الرجل مذهلة . فقد ألف كتبا أثبت فيها تجربته المثيرة ودعا فيها الى اصلاح السجون الاميريكية وأهاب بالمجتمع الاميريكى ان يهتم بمعاملة نزلاء السجون معاملة تأخذ فى اعتبارها أنهم مجرد بشر غير محظوظين . فالمجتمع أى مجتمع يستحق المواطنين الصالحين الذين فيه كما يستحق أيضا المواطنين الطالحين الذين فيه ...

كتب فى ذلك ومن ذلك كتابه المشهور " بين أسوار السجن " فى عام ١٩١٤ وكتاب " المجتمع والسجون " فى عام ١٩١٦ وكتاب " السجون والفطرة السليمة " فى عام ١٩٢٤ . ولم يكتف " اوسبورن " بهذا كله بل قام فى أثناء ادارته لسجن "سنج سنج " بالتجارب الاصلاحية العلمية . ومن هذه طبق " الحكم الذاتى " على نزلاء هذا السجن واستبدل بالتدابير العقابية التدابير التربوية ... الخ .

وكان بودى ان يكتفى السيد الباحث بالمادة العلمية التى جمعها وهو يعيش حياة المتسولين ويعاملهم ويعاملونه . وكان بودى أيضا ان يقوم فى ضوء نتائج هذه الدراسة الميدانية بالتوصيات والاقتراحات . ان الباحث أظهر هذه النتائج فعلا فى رسالته كما حاول فى ضوئها أن يسجل توصيات واقتراحات ولكنه فى الوقت نفسه أوقع قارئ رسالته فى متاهات نظرية استقى معظم مادتها عن مجتمعات أجنبية ، كان منها المجتمعات المتقدمة وكان منها أيضا المجتمعات النامية .

وما قال عنه " دراسة الحالة " من الناحية العلمية لم أجد له أثرا مذكورا . لم يذكر فى الرسالة عن وعى علمى كيف فعل ذلك ، ولماذا فعل هذا ؟ والمعلوم أنه ليس كل باحث يستطيع أن يستخدم هذه الاداة أو هذا المنهج ، وان استخدام دراسة الحالة له شروط واجراءات . ان كل ماذكره السيد الباحث فى هذا المجال انه استخدم أسلوب الملاحظة بالمعايشة " فى دراسة حياة الاحداث المتسولين حيث استطاع الحصول على وظيفة اخصائى اجتماعى بمؤسسة الاحداث البنين بمحرم بك فعاش معهم ليلا ونهارا فى الفترة من ١٩٨١/٩/١٢ الى ١٩٨٢/٤/١٨ مما أتاح له التعرف على سلوكهم (انظر صفحة ز) . والملاحظ ان هذه العبارة تؤكد على أن مفهوم " دراسة الحالة " ليست له صورة ذهنية واضحة عند الباحث . ولعل قارئ هذه الدراسة الموجزة أن يعلم أن عدد نزلاء هذه المؤسسة عندما كان السيد الباحث يعمل بها فى وظيفة اخصائى اجتماعى لم يتجاوز ثمانية احداث (منهم اثنان فقط كانا من المتسولين ((انظر صفحة ٢٩٢) . ومما يؤكد ملاحظاتى عن هذا الموضوع ماذكره

السيد الباحث عندما تحدث عن استخدامه للمقابلات المفتوحة . والمعلوم أن هذا الاستخدام أمر كانت تحتمه ظروف العمل الميدانى الذى قام به . وماذكره أيضا عند التحدث عن استخدام بعض الاخباريين الذين قال عنهم إنه اعتمد فى جمع مادته العلمية عليهم . وان هذه المادة العلمية كانت تتعلق بالمتسولين ولاسيما المكفوفين منهم " وذلك عندما أجرى دراسة حالة كل متسول على حدة للتعرف على تاريخ حياته وبداية نشاطه التسولى " (انظر صفحة ح) .

وانني هنا أثبت ماذكره السيد الباحث وابدى رأيى فيما ذكر . وإذ أفعل ذلك لاأنعى عليه حماسته بقدر ما أحاول فى ضوء خبراتى فى بعض عمليات البحث العلمى الاجتماعى ان أصحح بعض ما بدا لى أنه غير صحيح . وسأتحدث حتما عن هذا الموضوع أقصد " المنهج الذى استخدمه الباحث وأدواته " عندما تتاح لى الفرصة فى ابداء ملاحظاتى الشكلية منها وتلك التى تتعلق بالمضمون الذى تضمه الرسالة بعد ان انتهى توا من موضوع " أهم نتائج الدراسة " .

ومن حيث المفاهيم لم يهتم السيد الباحث بشرحها فى المقدمة ولكنه ذكر هذا الشرح فى ثنايا مضمون الرسالة وخاصة فى " التمهيد " وفى الفصلين الأول والثانى . وقد افرد الباحث جزءا خاصا فى الفصل الرابع عن موضوع " مدى انطباق المفاهيم التى وضعها علماء الانثروبولوجيا للبناء الاجتماعى على جماعات المتسولين بالاسكندرية (يلاحظ ان الباحث ذكر هنا مفهوم " الجماعات " ولم يذكر مفهوم " المجتمع ") . (انظر صفحة ١٨٢ ومابعدها) .

xxxxxxxxxxxxxxxxxx

ثالثا - مضمون الدراسة

١ـ اقصد بمضون الدراسة موضوعها أى " دراسة انثروبولوجية تطبيقية للانســـــانى والعلاقات السائدة فى مجتمع المتسولين بالاسكندرية " ويلاحظ ان السيد الباحث قد عرض هذا الموضوع فى خمسة فصول وقد قدم لها بمقدمة (انظر صفحات د ـ ك) واتبعها بتمهيد (انظر صفحات ١ ـ ٣٠) • وقد حرص الباحث على ان يختم كل فصل بملخص له وبالمراجع التى استند اليها فيه ، وانهى الدراسة بملخص عام للبحـــــث ونتائجه فضلا عن المراجع العربية والأجنبية (وكلها انجليزية) والدوريات العلميـة •

٢ ـ وذكر السيد الباحث فى المقدمة المشار اليها (ثمانى صفحات تقريبا) ما يؤكـــد انه استخدم أساليب جديدة فى معالجة التسول وان موضوع دراسته له من الآثـــار الاجتماعية والاقتصادية والاعلانية والصحية والترفيهية السيئة التى تهدد كيان مجتمعنا المصرى ! • وتضمنت هذه المقدمة أيضا محاولات الباحث الاستطلاعية التى قام بها لتقصى نشاط محترفى التسول فى الاسكندرية.وعنى الباحث بتبيان المنهج الذى اتبعه فى البحث فى ظل ماقال عنه انه المنهج البنائى الوظيفى ! وقدم الباحث فـــى جرأة يحسد عليها الفرض العلمى الذى يقوم عليه البحث الذى تضمه الرسالة بــــين دفتيها الا وهو :

" هـل المتسول هو الشخص الذى يبدو دائما من مظهره الخارجى أنه فى حالة حاجة وعوز •• ام هناك فئة من المتسولين تتخذ مـن التسول مهنة أساسية ووسيلة مشروعة للعيش وهى تنتمى الى ثقافـة فرعية معينة لها قوانينها ونظمها الخاصة بها وبناؤها الاجتماعـــى المتميز الذى يتكون من مجموعة الانساق الاجتماعية والنظــــم الاجتماعية السائدة فى هذا المجتمع ؟ " •

٣ ـ ولم يكتف السيد الباحث بالمقدمة المشار اليها ولكنه اتبعها بتمهيد طويل تضمـن كلاما طويلا عن دراسة الجريمة والجناح فى ضوء نظريات عفى عليها الزمان • وقد بـــدا

لى ان الباحث لم يستوعب ماقرأ ومن ثم فانه كتب ماكتب وقد أعوزه وضوح الرؤية • وماكان له ان يكتب هذا التمهيد بالمرة فبدونه لن يخسر الموضوع الذى بصدده شيئا بل لعله ان ينقذ القارئ من ضياع وقته احتراما له وتيسيرا لمحاولة قراءته لما هو أجدى وأجدر •

وقد ذكر السيد الباحث فيما ذكر بعض الدراسات الانثروبولوجية عن الجريمة فى المجتمعات البدائية (انظر صفحة ٣) • ومن الغريب ان الباحث قد ذكر فى هذا الصدد البحث الذى اجرى تحت اشراف المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية عن " ظاهرة الثأر فى الاقليم المصرى" فى قرية بنى سميع ، مركز أبو تيج (انظر صفحة ٤) • والمعلوم أن ظاهرة الثأر وان ارتكبت فى ظلها جرائم فهى ليست جريمة • وقد كرر الباحث معلومات نظرية عن الجريمة والانحراف المنظم وغيرها من المفاهيم المتعلقة بهذا الموضوع • وعلى الرغم من ان السيد الباحث قد اختار بحث احد انماط الجريمة (التسول) فانه تحدث عن عوامل انحراف الاحداث حديثا تقليديا (انظر صفحة ٧ ومابعدها) • وقد تحدث الباحث أيضا حديثا طويلا عن مفهوم التسول ومفهوم المتسول وأهم عوامل التسول (ويرى الباحث ان الطلاق من أسباب التسول !!) وعن علاج مشكلة التسول (أنظر صفحة ٢١ ومابعدها) •

وكان حديث السيد الباحث فى هذا التمهيد حديثا نظريا بحتا لم ينته به الى تساؤلات معينة لكى يحاول اثباتها أو نفيها أو تعديل ماوصل اليه من نتائج نظرية استخلصها أو حاول ذلك من هذا التمهيد • وأكرر القول بأن الرسالة من غير هذا التمهيد كانت تبدو أفضل وهو بين دفتيها •

٤ ـ واذا كانت المقدمة وكان التمهيد قد كتبهما الباحث فى حوالى ٤٢ صفحة فولسكاب من القطع الكبير ، فان فصول الدراسة قد كتبت فى أكثر من ٣٢٠ صفحة • والملاحظ ان صفحات الرسالة قد بلغت ٣٩٥ صفحة تضمنت فيما عدا ماذكرناه من صفحات " الملخص العام للبحث ونتائجه " والمراجع العربية والأجنبية والدوريات العلمية •

وأود أن أشير هنا بأن فصول الرسالة بدت جزءا لا يتجزأ ومهما اختلف القارئ مع السيد الباحث فى بعض ما ورد فيها فانه يعترف بأن كل فصل يكمل الفصل الذى يليه فمثلا نجد فيها ما يسمى بالجزء النظرى ومايسمى بالجزء الميدانى ، أى أن فصول الرسالة تبدو ككلّ عضوى وهذا أمر مرغوب فيه .

ونلاحظ أن الفصل الأول يدور حول موضوع :

" الفقر كظاهرة عالميــة "

وقد ذكر السيد الباحث هذا الموضوع بعد أن قدم له بمقدمة أوضح فيها أن الفقر يعد عاملا ضمن مجموعة من العوامل التى تدفع بعض أعضاء المجتمع الى التسول ، ما يلى :

أ ـ الفقر كظاهرة عالمية .

ب ـ أسباب الفقر .

جـ ـ الطرق المتبعة لعلاج الفقر فى المجتمعات الاسلامية والمجتمعات الغربيــة :

ـ الطرق المستخدمة فى المجتمعات الاسلامية كمعالجة الفقر .

ـ طرق معالجة الفقر فى المجتمعات الغربية .

وقد تناول الباحث ظاهرة الفقر كظاهرة عالمية بعد ان حدد معنى مفهوم الفقر ، ثم ألقى الضوء على معظم البلاد الفقيرة فضلا عن البلاد الغنية فى قارات العالم المختلفة . وحاول الباحث أن يقوم بدراسة عن أسباب الفقر ولخصها فى ثلاثة أسباب هى الأسباب الطبيعية والاسباب الاجتماعية والأسباب الشخصية . كل ذلك فى ضوء المعنى الذى تبناه لمفهوم الفقر . ويلخص هذا المعنى فى ان الفقر " يشير الى مستوى معيشى منخفض لا يفى بالاحتياجات الصحية والمعنوية المتصلة بالاحترام الذاتى لفرد أو مجموعة أفراد . وينظر الى هذا المفهوم نظرة نسبية نظرا لارتباطه بمستوى المعيشة

العام فى المجتمع وتوزيع الثروة ونسق المكانة والتوقعات الاجتماعية " .

ثم تطرق الباحث لدراسة أسباب الفقر المشار اليها وفصلها حسب ما ارتأى فى ضوء خبراته النظرية والعملية وانتهى الى " أنه مادام الفقر يعد سببا جوهريا من الاسباب التى تدفع البعض من الناس الى التسول فان علاج الفقر ولا شك يؤدى الى علاج سببا أساسيا من أسباب التسول " . (انظر صفحتى ٤٥ـ٤٦) .

وقد اهتم الباحث اهتماما بالغا ببحث طرق علاج الفقر فى المجتمعات الاسلامية حيث تتبع هذه الطرق والاساليب عندما كانت تمارس فى المجتمعات الاسلامية التى عاشت فى صدر الاسلام . واعاد تعريف مفهوم الفقر من المنظور الاسلامى حيث عرض الآيات القرآنية التى ذكر فيها مفهوم الفقر شارحا هذه الآيات من وجهة نظر فقهاء الاسلام . ثم تجده يعود الى الوسائل التى عالج بها الاسلام مشكلة الفقر فى ظل رأى الاسلام فى مشكلة التسول والمتسولين . ثم رأى الباحث ان يهتم أيضا بالمجتمعات الاسلامية المعاصرة بقصد التعرف على التدابير التى تواجه بها الفقر . وكانت هذه المجتمعات كما ذكرها الباحث مجتمعات مصر والعراق والكويت وقطر والاردن والسعودية وسوريا والسودان وباكستان .

وقد قارن السيد الباحث بين الطرق المتبعة فى علاج الفقر فى المجتمعات الاسلامية فى صدر الاسلام والتى اعتمدت فى معالجتها على الكتاب والسنة وبين الطرق المتبعة لعلاج المشكلة فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة . ورأى أن المجتمعات الاخيرة لا تسير فى معالجتها لهذه المشكلة وفق المنهج الاسلامى الذى كان متبعا فى المجتمعات الاسلامية الاولى . ويرى الباحث فى ضوء هذه النتيجة ان العلاج الجدى لهذه المشكلة هو العلاج الذى يحض عليه الاسلام فى مواجهتها .

وتحدث الباحث طويلا عن طرق معالجة مشكلة الفقر فى المجتمعات الغربية (انظر صفحات ٧٤ـ٩٤) . ورأى وجود تشابه فى معالجة هذه المشكلة فى

المجتمعات الاسلامية المعاصرة و المجتمعات الغربية المعاصرة. وهو يرى أن ذلك يرجع الى الاحتكاك الثقافى القائم بين هذه المجتمعات ، ومن عوامله كما ذكر الباحث الهجرة والبعثات العلمية والرحلات السياحية والتجارية .

• - اما الفصل الثانى فقد كان موضوعه :

" التسول واختلاف أساليبه باختلاف الثقافات"

وهو تضمن :

أ - مقدمة.

ب- التسول فى مستويات ثقافية مختلفة فى مصر .

جـ- أساليب التسول فى الثقافات الاسلامية المختلفة :

- اساليب التسول فى الثقافة الاسلامية فى صدر الاسلام.

- اساليب التسول فى بعض الثقافات الاسلامية المعاصرة.

د - أساليب التسول فى بعض المجتمعات الغربية.

وقد ذكر الباحث فى مقدمة هذا الفصل أن المتسولين يستخدمون أساليب عديدة لاستجداء المحسنين من أعضاء المجتمع، وهذه الأساليب تختلف من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى. وهى أيضا تختلف داخل المجتمع الواحد فى الحضر وفى الريف وفى البدو. وهى كذلك تختلف تبعا لاختلاف فصول السنة (أنظر صفحتى ١٠٢-١٠٣).

وفى ضوء ماسبق تحدث الباحث عن التسول فى مستويات ثقافية مختلفة فى مصر. وقد استمد مادة حديثه من ينبوعين هما :

- الكتابات المتنوعة التى عالجت هذا الموضوع والتى كتبها مؤلفون مصريون وغير مصريين.

- الملاحظات الميدانية التى شاهدها الباحث فى منطقة الدراسة وهى محافظة الاسكندرية والتى لم تقتصر على مشاهداته فحسب و انما تلـــــا،

التى قام هو بممارستها من خلال تنكره فى شخصية المتسول ومعايشتــه الفعلية للمتسولين ٠

وقد ذكر الباحث الاساليب العديدة التى تمارس سواء أكانت نظرية استقاها من كتب ودراسات وبحوث أم كانت ميدانية مارسها ، وسواء أكانت أساليب حضرية أم ريفيــة أم تمارس فى مجتمع البداوة ٠ وكانت المادة الميدانية نتاج الدراسة التى قام الباحث بها فى مدينة الاسكندرية ومن خلال زياراته لبعض القرى المصرية مثل قرية " قابيــل " التابعة لمركز دمنهور وعزبة " الغجر " التابعة لمركز الزقازيق ، وكذلك زياراته لمنطقــة " برج العرب " و " الحمام " التابعة لمحافظة مرسى مطروح ٠ وقد قارن الباحث بيــن أساليب التسول فى كل من هذه المستويات الثقافية المختلفة فى مصر ٠

وقد حاول الباحث أن يقوم بدراسة أساليب التسول فى الثقافة الاسلاميـــة والتى يرى الباحث ان مصر تعد جزءا منها فذكر أساليب التسول فى الثقافة الاسلاميـة فى المجتمع الاسلامى فى صدر الاسلام ٠ كما حاول ان يذكر رأى الفقهاء الاسلاميــين وخاصة رأى " الامام الغزالى " فى التسول بأساليبه المختلفة فى هذه الفترة ٠ ثـــم تعرض الباحث لدراسة أساليب التسول فى ثقافة بعض المجتمعات الاسلامية المعاصرة ٠ كما تعرض الباحث أيضا لدراسة اساليب التسول فى الصين وفى الهند وفــى فرنســا وفى انجلـترا ٠

وانتهى الباحث الى نتيجة هامة هى أن هناك أوجه شبه واختلاف فى أساليب المتسولين المنتمين لكل ثقافة من هذه الثقافات ٠ وان ذلك يرجع كما يــرى الباحـــث الى وجود الاحتكاك الثقافى بين هذه المجتمعات عن طريق الهجرة أو الغزو العسكرى والتجـارة !

٦ - ويلاحظ أن الفصل الثالث يدور حول موضوع:

" التنظيم السرى لمجتمع المتسولين بالاسكندرية "

وقد ذكر السيد الباحث عن هذا الموضوع بعد ان قدم له بمقدمة أوضح فيها "وجود تنظيم غير رسمي يسود بين جماعة المتسولين بالاسكندرية وانه محاط بالسرية التامة بحيث لا يتمكن الباحث أى باحث من اكتشاف هذا التنظيم وازالة ما به من غموض وابهام الا بعد معايشة المتسولين بالاسلوب الذى اتبعه الباحث فى هذه الدراسة" (انظر صفحة ١٤٦) ، مايلى :

أ – قواعد قبول المتسول الجديد .

ب – مكاسب المتسولين .

ج – ايكولوجيا التسول .

د – اللغة السرية للمتسولين .

أكد السيد الباحث فى هذا الفصل الذى استمد مادته من الدراسة الميدانية التى قام بها كمتسول يمتهن مهنة التسول على وجود " تنظيم سرى للمتسولين "يتضمن قواعد منها قواعد قبول المتسول الجديد . كما أكد سيادته على أن المتسول الجديد لكى ينتمى الى جماعة المتسولين التى يحيترأعضاؤها فى منطقة معينة عليه أن يتعرف على هذه القواعد وان يخضع لها خضوعا تاما والا تصدت له هذه الجماعة ورفضت أن تقبله عضوا فيها . وقد ذكر الباحث هذه القواعد ، ومنها ان يدفع المتسول الجديد "فردة" معينة أى مبلغ من المال " لزعيم المتسولين "بالمنطقة التى يريد أن يتسول بها وذلك نظير حمايته من المتسولين الآخرين بهذه المنطقة فضلا عن حمايته من رجال الشرطة" الذين تسول لهم انفسهم الدنيئة فتدفعهم الى تقاضى الرشوة من هذا الزعيم نظير التغاضى عن اتباعه من المتسولين" (انظر صفحة ١٤٨) . ومن هذه القواعد أيضا ان لايمد المتسول الجديد يده لطلب الصدقة قبل ان يمد المتسول القديم يده لهذا الغرض . ومنها كذلك ان المتسول الجديد لايستحق الحصول على نصيبه من الصدقات المادية الكبيرة التى يقدمها المحسنون الى زعيم المتسولين ويطلبون منه توزيعها عليهم حسبما يرى . فترى " الزعيم " يعطى للمتسول القديم نصيبه (أى المتسول بندخمسين :أى المتسول الذى حكم عليه فى خمسين قضية تسول على الاقل)

الذى ذ اق مرارة المهنة ومن ثم فقد آن له أن يذوق حلاوتها • اما المتسول الجديد فهو لم يذق مرارة هذه المهنة فلا يحق له أن ينعم بحلاوتها •

وذكر الباحث ضمن ماذكر ان هناك فئة من المتسولات دفعتهن ظروفهن الاجتماعية الصعبة الى ترك أسرهن والهجرة من محافظات مختلفة الى منطقة أبى العباس (بالاسكندرية) لما تمتاز هذه المنطقة بوجود المساجد وتدفق المحسنين عليها باعداد كبيرة • وقد لاحظ الباحث ان بعض هؤلاء النسوة قد هربن من بيوتهن نتيجة الخيانة الزوجية مثلا •وبعضهن هربن نتيجة المعاملة السيئة التى مارستها فى أسرهن •وبعضهن فعلن ذلك نتيجة لفاقتهن وعوزهن الشديدين (انظر صفحة ١٥٠) •

وقد ذكر الباحث أن الامنية الوحيدة التى يود أى متسول جديد أن تتحقق له هى أن يكون له مكان معين خاص به يمارس فيه تسوله ولايمكن لمتسول آخر أن يجرؤ على انتزاعه منه الا بعد موافقته • ويزعم الباحث أن القوة الجسمانية عامل أساسى من العوامل التى تجعل المتسول يحتفظ بهذا المكان لنفسه • ويذكر الباحث أن الدافع الاساسى الذى يؤدى بالمتسول الى أن يستميت دفاعا عن مكانه فى المنطقة التى يتسول فيها •يكمن وراء وجوده فى هذا المكان حيث يتميز عن غيره بكثرة مايدر عليه من مكاسب• ومهما يكن من الامر فان هذه المكاسب كما يقول السيد الباحث تختلف قلة وكثرة من متسول لآخر لاختلاف المتسولين عادة من حيث الاقدمية والخبرة واتقان الاحتراف •وكما تختلف المكاسب من متسول لآخر فهى أيضا تختلف من منطقة لاخرى • فهناك بعض المناطق التى تدر على المتسول مكاسب كبيرة مثل منطقة ابى العباس ومنطقة سيدى جابر ومنطقة محطة الرمل مثلا • وهناك مناطق أخرى أقل دخلا مثل منطقة الشاطبى ومنطقة محرم بك ومنطقة الرمل • فالمناطق المزدحمة بالسكان والتى يتردد عليها أنواج كبيرة من الناس لانها ذات مركز تجارى أو مركز دينى تدر عادة

على المتسولين مكاسب أكثر من غيرها • وقد لاحظ الباحث ان المناطق الشعبية تدر المكاسب على المتسولين أكثر مما تدره المناطق التى يعتبرها الاهالى مناطق راقية • ويرجع الباحث هذه الملاحظة الى ان بعض السكان الذين يقطنون المناطق الشعبية ليسوا على درجة كبيرة من الثقافة والعلم والوعى بحقيقة المتسول " الى جانب أن معظمهم من المهنيين والذين لديهم عقيدة معينة تدفعهم الى التصدق على المتسول الا وهى عقيدة الرزق والبركة " (ذكر الباحث ضمن ماذكر ان هناك فئة من الرجال المحسنين يأتون الى مكان الزعيم ملثمى الوجوه وذلك ايمانا منهم بأنه لابد من اخفاء شخصياتهم حتى لايضيع الاجر والثواب الذى يعود عليهم نظير فعلهم الخير • فهم يقدمون مبالغ كبيرة من النقود الى " الشيخ عاشور " (الزعيم) ويطلبون منه توزيعها بالقسط والقسطاس على المتسولين أقرانه ••• (انظر صفحة ١٥١)

وقد اهتم الباحث بدراسة الاماكن التى تعتبر مصادر تفريخ للمتسولين بالاسكندرية وذلك من خلال دراسة مائة حالة تسول والتعرف على مواطنهم الاصلية • ودرس أيضا الاماكن التى تعد مناطق جذب للمتسولين كالمساجد والمقابر وأبواب الجامعات ودور السينما والحمامات الشعبية والمتنزهات العامة • واعتبر الباحث موسم الصيف (وهو مجال زمنى) منطقة جذب للمتسولين حيث يتوافد المصطافون الى الاسكندرية فى خلاله •

والملاحظ أن السيد الباحث قد ردد عبارة " زعيم المتسولين " وهو يقصد زعيم متسولى منطقة أبى العباس • وذكر اسمه الاول " الشيخ عاشور " ولم يذكر اذا كان هذا الاسم هو اسم الزعيم الحقيقى أو هو اسم مستعار وخاصة وقد نسب إليه أمورا شائنة فيما يتعلق بعلاقته ببعض المتسولات حديثات العهد بمهنة التسول واللاتى يعملن تحت إمرته فى ظل قواعد التنظيم السرى لجماعة المتسولين (انظر صفحات ١٤٩ ـ ١٥١) •

وقد تحدث الباحث عن الاماكن التى يختفى فيها المتسولون من رجال الشرطة فى أثناء مطاردتهم لهم فضلا عن الاماكن التى تعد مأوى للمتسولين الذين لا مأوى لهم . واعتبر الباحث أن هذه الاماكن بنوعيها أوكارا سرية للمتسولين يحصل فيها المتسول على كل مايحتاج اليه من مأكل وملبس ومشرب بالاضافة الى تعاطى المخدرات بأنواعها المختلفة وممارسة الجنس بطريقة غير شرعية سواء كانت هذه الممارسة مثليه أوغير ذلك .

ومن الاماكن التى يختفى فيها المتسولون أو يأوون إليها ذكر الباحث المقابر ، ومن هذه مقابر الحضرة ومقابر كرموز ، و" اكشاك " رجال شرطة المرور بعد انتهاء فترة عملهم الرسمى والمخابىء والاماكن الخربة غير الآهلة بالسكان والقطارات والا وتوبيسات والترام أو عربات النقل فى أثناء إيداعها بالجراج . وقد خصص بعض الاشخاص منازل شعبية يديرونها كفنادق يذهب اليها المتسولون ويدفعون أجرا ليس فقط للمبيت بل لتناول الطعام وتنظيف الملابس . وقد ذكر السيد الباحث مواقع هذه المنازل واسماء شهرتها مثل " بيت الحاجة احسان " الموجود بشارع " ابن بطوطة بحى اللبان " (انظر صفحتى ١٦٦ـ١٦٧) .

وقد تضمن الفصل الحالى موضوع " اللغة السرية " التى يتداول ألفاظها المتسولون كاحدى فئات المجتمع المصرى . وكان من ألفاظها عدد يتعلق برجال الشرطة (" بذرجى " أى المخبر) أو (" خشب" و" فلوط" وهما لفظان يعطيان نفس المعنى) ولفظ ("يلبص" ويعنى تقديم رشوة للمخبر وعبارة " بيض جيبك " يقولها المخبر عندما يقبض على احد المتسولين) . وتلى هذه الالفاظ الالفاظ التى يتداولها المتسولون حول أصناف الطعام ومنها عبارة (" تماخين شداد " وهى تعنى الفتة باللحم) و" يتسنتك " يعنى يتسول . وعبارة " هذا المكان حاتى " أى انه مكان يتردد عليه المتصدقون أفواجا ، على عكس عبارة " هذا المكان مشلع" وتعنى ان المكان لا يكثر فيه المتصدقون ومن ثم تقل فيه الصدقة .. وغيرها وغيرها من الالفاظ التى تتعلق

بالملبس والمأوى والنقود وتلك التى تتعلق بالزملاء من المتسولين (ويرى الباحث ان لغة المتسولين السرية مشتقة أساسا من لغة " الهناجرة " أى الغجر مع دخول بعض التعديلات عليها ، وان الفاظ هذه اللغة تتجدد من حين لآخر حتى تحتفظ دائما بسريتها التامة عن الجمهور ورجال الشرطة .

٧ ـ اما الفصل الرابع فقد كان موضوعه :

" البناء الاجتماعى لجماعات المتسولين بالاسكندرية "

وهو يتضمن :

أ ـ مقدمة

ب ـ مدى انطباق المفاهيم التى وضعها علماء الانثروبولوجيا للبناء الاجتماعى على جماعات المتسولين بالاسكندرية .

جـ ـ الانساق الاجتماعية بمجتمع المتسولين بالاسكندرية :

ـ النسق الاقتصادية :

ـ نظام الملكية

ـ نظام تقسيم العمل

ـ نظام التبادل فى مجتمع المتسولين بالاسكندرية .

ـ النسق القرابى لمجتمع المتسولين بالاسكندرية .

ـ انساق الضبط الاجتماعى فى مجتمع المتسولين بالاسكندرية .

ـ الوسائل غير الرسمية أو غير التنظيمية المستخدمة فى تحقيق الضبط الاجتماعى لمجتمع المتسولين بالاسكندرية .

ـ الوسائل الرسمية والتنظيمية المتبعة لتحقيق الضبط الاجتماعي لمجتمع المتسولين في الاسكندرية :

- القانون والتسول •
- الشرطة والتسول •
- التنظيم السياسي •
- الدين والتسول •
- نسق الرأي العام والتسول •

وقد ذكر السيد الباحث في مقدمة هذا الفصل مبرراته • واعتبر جماعة المتسولين وهي عبارة أوردها في صلب عنوان هذا الفصل مجتمعا ومن ثم رأى تعسفيا " ان التنظيم السري للمتسولين بمدينة الاسكندرية يعد جزءا من البناء الاجتماعي حيث ان البناء الاجتماعي يشتمل على مجموعة من النسق الاجتماعية مثل نسق القرابة ونسق الضبط الاجتماعي والنسق الاقتصادية ، وان هذه الانساق يوجد بينها نوع من التكامل والتساند الوظيفي داخل البناء الاجتماعي الكلي " ولهذا قام الباحث في الفصل الحالي بدراسة البناء الاجتماعي للمتسولين بالاسكندرية • (انظر صفحة ١٧٦) • ومن ثم أورد العديد من مفاهيم " البناء الاجتماعي " وعلاقته بمفهوم " الوظيفة الاجتماعية " ومفهوم " النسق " (انظر صفحات ١٧٨ ـ ١٩٢) وانتهى الى أنه في الفصل الحالي سيكون موضوع معالجته ودراسته نقطتين اساسيتين ، هما :

١ ـ مدى انطباق المفاهيم التي وصفها علماء الانثروبولوجيا للبناء الاجتماعي على جماعات المتسولين بالاسكندرية • (يلاحظ ان السيد الباحث ذكر جماعات المتسولين وليس مجتمع المتسولين) •

٢ـ الانساق السائدة والمندرجة تحت البناء الاجتماعي مثل النســـق الاقتصادي ونسق القرابة ونسق الضبط الاجتماعي وذلك من خـــلال اعطاء فكرة نظرية مبسطة عن معنى كل نسق من هذه الانساق على حدة وكيفية وجوده في مجتمع المتسولين بالاسكندرية • (يلاحظ أن الباحث كان قد تحدث في الفصل الثالث عن النسق الايكولوجي)

والملاحظ ان الباحث قد حاول ان يفعل ماوعد به في مقدمة هذا الفصل • ولكن القارئ الامين يحس بالصراع الاليم الذي عاناه الباحث ليحقق هدفه • لقـــد أدمج الباحث كل ما استقاه من المراجع النظرية وخاصة مراجع أساتذته بالجامعـــة، بخبراته التي استقاها من الميدان الحي وهو يعيش كمتسول بين جماعات المتسولين بالاسكندرية • وليته مافعل • وذلك لان خبراته الميدانية أولى بأن تسجل ، وهو قـــد سجل الكثير منها فعلا في فصول أخرى • فهذه الخبرات هي في حقيقة الامر إضافات علمية ثمينة قد أثرت خبرات القارئ وربما أفاد منها الباحثون الاجتماعيون العلميـــون في بحوثهم ودراساتهم •

ومع ذلك فان الكمال لله وحده • فقد لاحظت ان السيد الباحث وموضوع رسالته هو التسول والمتسولون قد أشار الى المتسولين اللصوص في أكثر من موضع في الرسالـــة (انظر صفحة ١٧٢ وصفحة ١٩٢ مثلا) • والاولى ان يركز اهتمامه على المتسولـــــين فحسب • واذا أراد أن يجري بحثا عن السرقة فان عليه ان يركز اهتمامه على الاشخاص الذين يسرقون • اما اذا رغب في إجراء بحث عن المتسولين اللصوص فمن حقـــــه أن يختار عينة هذا البحث من هؤلاء المتسولين اللصوص•

٨ـ ويلاحظ ان الفصل الخامس يعالج موضوع:

" دراسة المسئولين بمؤسسات الاحداث وسجن الحضرة وملجأ الهداية بالاسكندرية ومعرفة مدى نجاحهـــا فـــي معالجة انحرافهم " •

وقد ذكر السيد الباحث عن هذا الموضوع بعد ان قدم له بمقدمة " حماسية " ندد فيها بوسائل القهر الفيزيقى التى تستخدمها الدولة ضد المتسولين والتى تتمثل فى صور العقاب والقهر والردع التى تهدف الى اصلاحهم وتهذيبهم وتقويم سلوكهم لكى يعودوا الى حظيرة المجتمع أشخاصا أسوياء وبذلك تجنبهم الدولة التردى فى مهاوى الجريمة والانحراف (أنظر صفحتى ٢٧٦-٢٧٧) ، مايلى :

- دراسة حياة الاحداث المتسولين المودعين بمؤسسات الاحداث بالاسكندرية :
  - مقدمة نظرية .
  - مؤسسة الاحداث للبنين بمحرم بك .
  - مؤسسة الاحداث للبنين بالمنشية الجديدة بمحرم بك .
  - مؤسسة الاحداث شديدى الانحراف بالمنشية الجديدة .
  - مؤسسة الاحداث المتسولات بمحرم بك .
- دراسة حياة المتسولين المودعين بسجن الحضرة بالاسكندرية :
  - مقدمة نظرية .
  - دراسة ميدانية لحياة المتسولين المودعين بسجن الحضرة بالاسكندرية .
- دراسة حياة المتسولين المودعين بملجأ الهداية بالاسكندرية :
  - مقدمة نظرية .
  - دراسة ميدانية لحياة المتسولين المودعين بملجأ الهداية بالاسكندرية .

ويلاحظ ان السيد الباحث قد عاد عندما تحدث عن " دراسة حياة الاحداث المتسولين المودعين بمؤسسات الاحداث بالاسكندرية " الى الدراسات النظرية ليعيب

منها • ملأ من هذه الدراسات حوالى ثمانى صفحات (انظر صفحات ٢٧٧–٢٨٤) ذكر فيها ماعنّ له عن تشرد الاحداث وأسبابه ، وتحدث عما يتمتع به الحدث المتسول من حيث حريته فى الانتقال من مكان الى مكان ومن حيث مايحصل عليه من مكاسب نقدية وعينية ! وكان حديث الباحث فى هذه " المقدمة النظرية " لايدل على وضوح الرؤية لديه • تراه يتحدث عن الاحداث الجانحين المصريين على وجه العموم ثم يقفز ويتحدث عن الاحداث الجانحين فى هولندا وفى بولندا وفى الولايات المتحدة وفى النرويج • وتراه أيضا يتحدث عن الاحداث المتشردين ويذكر بعض أنماط تشردهم ومنها التسول • ثم تراه مرة أخرى يتحدث عن الاحداث المجرمين ، ويذكر بعض صور أجرامهم ومنها السرقة • وتجد السيد الباحث يتحدث فى هذا المجال عن الحدث الجانح ثم تجده دون تمهيد يتحدث عن عصابات الاحداث !

وقد عالج السيد الباحث فى الفصل الحالى حياة المتسولين داخل مؤسسات الاحداث المشار اليها • واستقى مادته العلمية المتعلقة بهذا الموضوع الهام من البحث الميدانى الذى قام به داخل هذه المؤسسات والذى استخدم فيه أسلوب الملاحظة بالمعايشة حيث عايش المتسولين الاحداث وبخاصة الذكور منهم ، كما يقول ، معايشة تامة • وذلك بأن قام بعمل الباحث العلمى الاجتماعى فى المؤسسة أو كأحد نزلائها حتى يتسنى له التعرف على أدق أنماط سلوك أعضائها •

ويذكر الباحث دوره فى " مؤسسة الاحداث للبنين بمحرم بك " حيث بدأ كأحد الباحثين بالمؤسسة فى خلال الفترة من ١٢/٩/١٩٨١ – ١٨/٤/١٩٨٢ • وتبين له أنها تقبل ايداع الحدث ابتداء من سن السادسة من عمره ويظل بها حتى تبلغ سنه الثانية عشرة من عمره • اما الحدث الذى يتجاوز عمره هذه السن فانه يودع " بمؤسسة الاحداث للبنين بالمنشية الجديدة – محرم بك " أو " مؤسسة الاحداث شديدى الانحراف بالمنشية الجديدة " • وعلى الرغم من أن السيد الباحث قد ذكر

أن عدد الأحداث المودعين فى مؤسسة الأحداث للبنين بمحرم بك فى خلال الفترة التى قام فى خلالها بالعمل الميدانى لم يتجاوز ثمانية أحداث !! فقد تحدث عن هذه المؤسسة حديثا طويلا طويل (أنظر صفحات ٢٨٥ ـ ٣٠٠) . وكان هذا الحديث الطويل الطويل خليطا بين ما هو كائن وبين مايجب أن يكون ولم يكن لوجوده فى الصورة التى شاء الباحث أن يضعها فيه أى معنى .

وقد تجاسر السيد الباحث عندما ذكر أن اثنين فقط من الأحداث الثمانية المشار اليهم كانا من المتسولين ، وان اثنين آخرين كانا من النشالين ، وان اثنين آخرين كانا من المحكوم عليهم فى قضايا تسعيرة ، وان الاثنين الباقين كانا " تسليم أهل " ـ تجاسر إذ يقول بعد أن تبين له فى ضوء معايشتهم أن هؤلاء الأحداث جميعا مارسوا التسول قبل ايداعهم : " وذلك معناه أن الحدث المنحرف يجمع بين عدة أنماط اجرامية فى آن واحد دون أن يتخصص فى نمط معين منها وذلك بغض النظر عن التهمة التى أودع من أجلها مؤسسة الأحداث " . والملاحظ أن هذا تعميم جارف كثيرا ما وقع السيد الباحث فى تبنيه (أنظر صفحة ٢٩٢) .

وليت حديث السيد الباحث الطويل الطويل عن مؤسسة الأحداث البنين بمحرم بك قد كان حديثا مفيدا . لم يأت هذا الحديث بجديد . فقد بدا وكأنه ينقل تقريرا " رسميا " عن هذه المؤسسة كتبه أولو أمرها للدعاية لها . أنظر اليه وهو يذكر تفاصيل ، لم يكن لذكرها داع ، عن " بيان مقررات التغذية " على مدى الأسبوع . ذكر الأيام يوما يوما وذكر الأصناف صنفا صنفا وذكر مقررات الأصناف بالجرامات ... الخ . وكأن كل ما كان يهمه أن يملأ الصفحات تلو الصفحات (أنظر صفحات ٢٩٤ ـ ٢٩٧) .

وتحدث السيد الباحث عن " مؤسسة الأحداث للبنين بالمنشية الجديدة ـ محرم بك " ، وذكر انه بدأ دراسته الميدانية بها فى خلال الفترة من ١٦/١٠/١٩٨٠ الى ١٥/٣/١٩٨١ . وقد عايش الباحث الأحداث المتسولين بهذه المؤسسة معايشة تامة من الساعة التاسعة صباحا حتى الساعة السادسة مساء . وكان بوده لفرط حماسه أ

يحصل على تصريح من ادارة المؤسسة يخول له المبيت ليلا مع هؤلاء الأحداث ولكنه فشل فى ذلك • وقد لاحظ السيد الباحث أن جميع الأحداث المتسولين المودعين فى هذه المؤسسة كانوا قد سبق ايداعهم فى المؤسسة السابقة • وفى ضوء ما ذكره الباحث عن المؤسسة الحالية نلاحظ أنه ذكر عنها الكثير من عناصر الحياة اليومية لنزلائها • تحدث عن البرنامج اليومى لحياة الحدث فى داخلها منذ أن يستيقظ فى الساعة السادسة صباحا حتى يحين موعد النوم فى الساعة السابعة مساء • وكان أسلوب حديثه هو نفس أسلوب حديثه الذى استخدمه وهو يتحدث عن المؤسسة السابقة • وقد أشار ضمن ما أشار الى معاملة الأحداث وذكر أنها " تنصب أساسا على العقاب البدنى مثل الضرب المبرح والسب الجارح بألفاظ نابية لا يتوقع أن يتلفظ بها اخصائى اجتماعى " (أنظر صفحة ٣٠٤) • وقد لاحظ الباحث تعدد حالات هروب الأحداث المتسولين من المؤسسة ، واتضح له أن لكى يواجه المسئولون هذه المشكلة فانهم ينقلون الحدث الهارب الى مؤسسة الأحداث شديدى الانحراف بالمنشية الجديدة وهى " مؤسسة مغلقة تشبه تماما السجن " •

وعند التحدث عن المؤسسة الأخيرة ذكر السيد الباحث أن دراسته الميدانية التى قام بها فى هذه المؤسسة قد بدأت فى ١٩٨١/٤/١ وانتهت فى ١٩٨١/٥/٣٠ • وقد عايش الباحث الأحداث المودعين فيها فى أثناء الفترة الصباحية (من الساعة الثامنة صباحا حتى الساعة الثانية عشرة ظهرا) وفى أثناء الفترة المسائية (من الساعة الثانية بعد الظهر حتى الساعة الخامسة مساء) •

وقد لاحظ السيد الباحث أن عدد الأحداث المتسولين المودعين فى هذه المؤسسة قليل جدا (لم يذكر العدد) ، ويبرر ذلك بأن ذكر أن هذه المؤسسة لا تقبل سوى الأحداث " المتهمين بتهم خطيرة مثل القتل والسرقة والذين تعددت حالات هروبهم من مؤسسة الأحداث البنين بالمنشية الجديدة " (أنظر صفحة ٣٠٦) •

وعلى الرغم من أن عدد الأحداث المتسولين فى المؤسسة قليل فقد كانوا موضع اهتمام السيد الباحث . فقد ذكر عنهم أن النزلاء الآخرين " أصحاب السوابق " والذين ارتكبوا الجرائم الخطيرة ينظرون للمتسولين من الأحداث نظرة الاحتقار . وذكر السيد الباحث أيضا أن مهنة التسول التى يكتسبها الحدث تصبح عادة متأصلة حيث انه لاحظ أن المتسولين من الأحداث فى هذه المؤسسة يجمعون فضلات الطعام من فنائها ليأكلوها عند الحاجة !! (أنظر صفحتى ٣٠٧ - ٣٠٨) .

وعند حديث السيد الباحث عن "مؤسسة الأحداث المتسولات - بمحرم بك " تجده قد اعترف بأنه قد استقى معلوماته الميدانية فى خلال الفترة من ١٦/٣/١٩٨١ الى ٣٠/٣/١٩٨١ ، من واقع سجلات المؤسسة . وكانت أحاديثه مع السيدة مديرة المؤسسة . وقد أرجع ذلك الى أنه وجد من الصعب معايشة حياة الأحداث المتسولات المودعات بالمؤسسة لما فى ذلك من مخالفة للوائح والحرج الناتج عن كونه ذكرا وهن إناث .

ومن الغريب أن يجد القارئ أقصد قارئ الرسالة أن الباحث إذ يتحدث عن مؤسسة الأحداث المتسولات المشار اليها ويحاول أن يصف الحياة اليومية فيها تراه يقفز ويتحدث عن مؤسسات الأحداث البولندية والنرويجية والهولندية (أنظر صفحات ٣١١ - ٣١٣) . وهو إذ يتحدث عن هذه المؤسسات الأجنبية لا يثبت مراجع ويبدو لقارئه وكأنه يتحدث من الذاكرة !!

ثم تحدث السيد الباحث عن موضوع " حياة المتسولين المودعين بسجن الحضرة بالاسكندرية " ، وبدأ هذا الحديث بمقدمة نظرية فى ست صفحات (أنظر صفحات ٣١٤ - ٣١٩) ولم يأخذ فى اعتباره التيسير على القارئ لكى يفيد مما تحدث عنه . وكانت دراسته الميدانية بهذا السجن فى خلال الفترة من ١/٤/١٩٨١ الى ٣٠/٥/١٩٨١ . وبدت حماسة الباحث واضحة إذ تراه يقول : " وكنت اعتزم أن أتبع

أسلوب المعايشة الفعلية للمتسولين المودعين به (أى بالسجن) ليلا ونهارا وذلك من خلال التنكر تحت ستار ارتكاب جريمة تسول وهمية وذلك حتى يتسنى لى الاقامة التامة معهم ومعايشتهم معايشة فعلية داخل السجن ولكن ادارة السجن رفضت واكتفت بأن تحصل لى على تصريح من مدير مصلحة السجون يخول لى دخول السجن يومين فقط فى الأسبوع ومقابلة المتسولين فى مكتب الاخصائى الاجتماعى بالسجن " . (أنظر صفحة ٣٢٠) . وقد تمكن السيد الباحث من زيارة هذا السجن عشر مرات فى خلال الفترة المسموح بها . وجمع فى خلال هذه الزيارات مادته العلمية عن حياة المسجونين المتسولين من حيث علاقتهم بحراس السجن من رجال الشرطة ومن حيث حياتهم فى " الزنازين " والمراحل التى يمر بها كل مسجون (مرحلة الايراد أو الاختبار ومرحلة التصنيع ثم مرحلة التخزين) . وقد ذكر السيد الباحث عديدا من أنماط السلوك التى تصدر عن المسجونين المتسولين وهم فى علاقاتهم بعضهم ببعض وبغيرهم من المسجونين الآخرين . ومن الأمور التى ذكرها السيد الباحث ما ذكره عن وجود " سوق " كبيرة يديرها بعض المسجونين لحسابهم الخاص . وتوجد هذه السوق فى كل عنبر من عنابر السجن وتباع فيها السلع المتباينة من طعام وملابس وفضلا عن ذلك " البرشام والمخدرات ". ولاحظ السيد الباحث أن هذه السلع تباع علنا وينادى عليها بصوت مسموع ترويجا لها (أنظر صفحة ٣٢٧) . وذكر السيد الباحث عن مقابلاته مع " زعماء " المتسولين المسجونين أى الأشخاص الذين يكون تحت امرتهم وسلطانهم بعض الأحداث (الذين يمتهنون التسول) وهم فى خارج السجن . وقد ذكر أن أحدهم عندما كان يرغب فى تعاطى الخمر وهو سجين فانه يصنع على يديه هذا الشراب المسكر فيشترى " خميرة بيرة " ويضع عليها بعض الكحول فيصير المخلوط خمرا . وشراء هذا الصنف أو ذاك أمر ميسور ما دام يستطيع أن يسيل لعاب شرطى الحراسة ببريق المال الذى يمتلكه ، فان لم يمتلك المال فعن طريق السجاير التى تؤدى وظيفة النقود فى هذا المجال . (أنظر صفحتى ٣٢٨ ـ ٣٢٩) .

وبعد أن قدم الباحث دراسة نظرية أخرى تحدث فيها عن القوانين التى تنظم " ملاجئ المتسولين " ومنها القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٣٥، أضاف الى ذلك مضمون مجموعة من الجداول الخاصة بمؤسسة المتسولين (أنظر دراسة حياة المتسولين المودعين بملجأ الهداية بالاسكندرية صفحة ٣٣١ وما بعدها) عن الأعوام ١٩٦٧ و ١٩٦٨ و ١٩٧٠ و ١٩٧٤ و ١٩٧٥ (أنظر صفحات ٣٣٤ ـ ٣٤٠) ، وتتضمن هذه الجداول بيانات عن سعة المؤسسة والموجودين من النزلاء بها من المحكوم عليهم أو من المتطوعين ومدة اقامتهم وأعمارهم وحالتهم الصحية والبدنية ... الخ . وكل هذه البيانات هامة ولكن السيد الباحث لم يعرضها عرضا مريحا يفيد منه قارئها .

وقد نجح السيد الباحث فى الالتحاق بملجأ الهداية بالاسكندرية ليدرس حياة المتسولين فيها دراسة وافية حيث تمكن من تقمص شخصية متسول واستخدم أسلوب الملاحظة بالمعايشة فى خلال الفترة من ١/٩/١٩٨٠ الى ١٥/١٠/١٩٨٠ . عاش السيد الباحث فى هذا الملجأ كأحد نزلائه ليل نهار . واختلط بالمتسولين المودعين فيه وأخذ يلاحظ العلاقات الاجتماعية التى توجد بينهم . وكان من بينهم المحكوم عليهم فى جريمة التسول كما كان من بينهم النزلاء المتطوعون . واهتم الباحث أيضا بالعلاقات الاجتماعية الأخرى وخاصة تلك التى تقوم بين النزلاء بنوعيهم وبين ادارة الملجأ والعاملين به . وفى ضوء المناخ الثقافى الاجتماعى السائد فى هذا الملجأ لاحظ السيد الباحث العديد من القيم الاجتماعية ذات الأهداف غير الحميدة تبرز وتسود وتكون لها اليد العليا وذلك من أجل الوصول الى السلطة والزعامة أو الحصول على المال . ومن هذه القيم الاجتماعية وجد قيم الحقد والكراهية التى تكون من نتائج وجودها المشاجرات العنيفة والصراعات المحتدمة . وقد وصف السيد الباحث شخصية الزعيم وأبرز أهم سماتها التى ذكر منها أن يكون " على قدر كبير من الاجرام والمكر والدهاء .. حتى يجعل المتسولين يخشون بطشه وجبروته وأيضا يجعل المسئولين عن الملجأ

يعترفون بزعامته على النزلاء المتسولين " (أنظر صفحة ٣٤١) • وقد لاحظ السيد الباحث انه لايوجد برنامج يومى لحياة المتسول بهذا الملجأ • ومن ثم فانه وجد أن النزيل المتسول الذى يملك القدرة على الحركة بعد أن يتناول طعام الافطار يخرج من الملجأ بطريقة أو بأخرى الى الشارع لكى يزاول مهنة التسول ثم يعود الى الملجأ لكى يتناول طعام الغذاء وبعد أن يفعل ذلك يخرج الى الشارع مرة ثانية لكى يتسول ولايعود الى الملجأ الا عند تناول طعام العشاء • وقد وجد السيد الباحث أن بعض النزلاء المتسولين إذ يخرجون من الملجأ فى الصباح (أى بعد تناول طعام الافطار) لايعودون اليه الا فى ساعة متأخرة من الليل وذلك بعد ان يكلف احد زملائه من النزلاء لينوب عنه فى تسلم الطعام الخاص به بدلا منه ويحتفظ له به حتى يعود من جولاته فى الشوارع وجيوبه مكتظة بالنقود وغيرها التى حصل عليها وهو يتسول • وترى هذا المتسول ومن على شاكلته إذ يعود الى الملجأ يحمل الكثير من الفاكهة والخضروات والخبز التى تمثل سلعا يقوم ببيعها للمتسولين والمتطوعين النزلاء الذين لاتمكنهم ظروفهم الصحية والبدنية من الخروج للتسول او شراء مايحتاجون اليه من خارج الملجأ • (انظر صفحة ٣٤٢) • ومن السلع التجارية التى يعرضها بعض المتسولين الذين يستطيعون الخروج من الملجأ المخدرات بأنواعها المختلفة من حشيش وافيون "والبرشام" المخدر • وهم يحصلون من هذه التجارة على أرباح طائلة • وقد ينتهز بعضهم الفرصة ويجمعون " اعقاب السجاير " ويبيعونها سجائر بعد " تغريطها " • والارباح الطائلة التى يحصل عليها هؤلاء وهم فى هذا الملجأ تعتبر حافزا لعدم التفكير فى الهروب أو حتى محاولته • فالفرصة سانحة لهم للخروج فى أى وقت يشاءون وذلك نظير بعض النقود أو غيرها يقدمها هؤلاء المتسولون رشوة لبعض العاملين بالملجأ من المشرفين عليهم أو حارس البوابة لكى ييسر خروجهم بطريقة أو بأخرى •

واستطرد الباحث واسهب فى الحديث عن حياة المتسولين النزلاء غير اصحاء البنية الذين لا يستطيعون العمل والذين لديهم القدرة على العمل داخل الملجأ •

وترى الاخيرين يبيعون الشاى والقهوة للنزلاء أو يعملون فى تجارة " الملابس القديمة " أو الملابس الجديدة التى قد يتصدق بها عليهم بعض المحسنين الذين يزورون الملجأ من آن لآخر .

وقد تحدث السيد الباحث عن الحالة الصحية لنزلاء الملجأ فذكر أن هذه الحالة غير مرضية ، وقد نقد الظروف المعاشية التى يحياها المتسولون النزلاء من حيث قذارة العنابر ، ومن حيث الحالة المتردية للاضاءة والتهوية ، ومن حيث عدم وجود الادوية أو نقصها . وقد أكد الباحث كل ذلك إذ يذكر ان "الاخصائيين الاجتماعيين بل ومدير الملجأ يرفضون دخول العنبر الذى يوجد فيه المرضى من المتسولين النزلاء خوفا من العدوى ...." (انظر صفحة ٣٥٣) .

وكما تحدث السيد الباحث عن الحالة الصحية تحدث عن التغذية فى الملجأ ، وأثبت انه لاتوجد لائحة تحدد الوجبات الغذائية من حيث الكمية والنوع ... الخ . وقد اطال السيد الباحث الحديث فى هذا الموضوع كما فعل ذلك من قبل عند أدائه العمل الميدانى فى المؤسسات السابقة . (انظر صفحات ٣٥٤ـ٣٥٦) .

وقد بلغ حماس السيد الباحث للحديث ان تحدث عن سلوك احد المتسولين من نزلاء الملجأ الذى كان يقيم معه فى حجرة واحدة . كان حديثا طويلا استغرق عدة صفحات من الرسالة (انظر صفحات ٣٥٧ـ٣٦٠) . ذكر الباحث أن هذا النزيل قد بلغ من العمر ٥٠ عاما وأنه اعزب ولم يسبق له الزواج من قبل وأن مدة ايداعه بالملجأ تجاوزت خمسة عشر عاما . وذكر تفصيلات أخرى ولكن مالفت نظرى منها أن الباحث استطاع ان يكون علاقة طيبة معه جعله يثق فيه لدرجة كما يقول " انه كان يصحبنى معه فى أيام كثيرة للتسول خارج الملجأ حيث كانت منطقة تسوله هى مقابر المنارة . وقد أتاح لى الفرصة لكى اتعرف على المتسولين المقيمين بهذه المنطقة . وقد علمنى بعض فنون التسول واطلعنى على بعض الالفاظ المستخدمة فى لغة

المتسولين السرية " .وقد ذكر هذا الزميل المتسول للسيد الباحث ان أهم مايدفعه للخروج من الملجأ لكي يتسول هو ان الطعام الذى يصرف له في الملجأ ردئ للغاية ، وان ادارة الملجأ تصرف له " مصروفا " لايكفيه . فهو يدخن ثلاث علب سجائر يوميـــا وان ثمن العلبة الواحدة هو خمسة وثلاثون قرشا صاغا ، وبالاضافة الى ذلك فانــــه يتعاطى " البرشام " . (يلاحظ ان ادارة الملجأ قد تكلف بعض المتسولين الـــنزلاء بأعمال معينة مثل مساعدة الطباخ أو اقامة الصلاة في المواعيد المحددة أو للقيـــام بالحلاقة داخل الملجأ أو القيام بتسليم " العهدة " الخاصة بالملجأ وغيرها نظـــير مكافأة شهرية تتراوح مابين عشرة قروش صاغ وعشرين قرشا صاغا . ومن الطريف أن تدفع الادارة مكافأة شهرية تقدر بحوالى عشرة قروش صاغ لكل من يواظب على أداء الصلاة (انظر صفحات ٣٤٥ـ٣٤٧) .

واذا كان السيد الباحث قد تحدث عن تجارة المخدرات وتعاطيها وكـــرر ذلك في المؤسسات التى أدى عمله الميداني فيها ، فانه تحدث أيضا عن ممارســـة العمليات الجنسية المثلية فيها وكرر ذلك أيضا . (انظر صفحات ٢٩٣ و ٣١٠ و ٣٥٠ مثلا) .

xxxxxxxxxxxxxxxxxx

رابعا - أهم نتائج الدراســـــة

انني اذ اتحدث عن " أهم نتائج الدراسة " اقصد اهم النتائج التي وصلت اليها في ضوء ما سطرته حتى الآن في التقرير الموجز عن الدراسة التي تضمها رسالة السيد الباحث ، أي في ضوء كل ما سبق تدوينه • صحيح أن السيد الباحث قد افرد مشكورا ملخصا عاما عن البحث وعن نتائجه (انظر صفحات ٣٦٥ـ٣٨٠) ، ولكنه قد فعل ذلك في ضوء مضمون الرسالة كله كما سطره هو أي في ضوء المقدمة والتمهيد والفصول الخمسة التي عرضتها وناقشتها من قبل • وقد يلاحظ القارئ أنني قد اتفقت مع السيد الباحث في بعض ما كتب عن هذا الموضوع وقد تغاضيت عن البعض الآخر • ان مايهمني اذ اكتب عن هذا الموضوع هو ما وصلت اليه من نتائج اعتبرتها نتائج عامة •

وانني بقدر ما عانيت وأنا اكتب التقرير الموجز الحالي فالملاحظ ان السيد الباحث قد عانى أكثر مني في كل ما فعل • وخاصة في محيط أعظم ما فعل وهو الدراسة الميدانية التي قام بها متحمسا غاية في الحماسة وهو يحاول أن يمارسها لكي يصل الى ما يبغي ويحقق مايصبو اليه • وانني ارى أنه حقق مايصبو اليه على الرغم من اختلافي معه في الكثير من الاحيان وخاصة عندما كتب دراساته النظرية الطويلة ، وعندما كان يكرر ما دونه تكرارا مملا فيجد قارئ رسالته ان الملخص العام الذي ذكره عن البحث قد ذكره من قبل متناثرا في فصول الرسالة الخمسة وفي المقدمة والتمهيد كذلك • (انظر صفحات ٣٦٥ـ٣٧١) • وقد فعل ذلك بقصد التيسير على القارئ •

وكان عدد النتائج التي وصل اليها السيد الباحث ٢٣ نتيجة ، اهمها مايؤكد على ان النظام الطبقي الذي يسود " داخل دول العالم المتقدمة منها والمتخلفة " يؤكد ان الفقر ظاهرة عالمية في هذه المجتمعات ومن ثم فان التسول أيضا يعد ظاهرة عالمية ، فهو إذن أي التسول كما يرى الباحث يعتبر احد النتائج المباشرة

للفقر • وفى رأيى ان هذا ليس فقط يخالف الواقع بل هو تبسيط زائد على الحد لمشكلة التسول كاحدى الظواهر الاجتماعية • فالملاحظ ان مفهوم الفقر لم يحدد السيد الباحث معناه على الرغم من التفسيرات العديدة التى ذكرها عنه • وان عالميته لم يؤكدها حتى يقتنع القارئ بوجودها • وهذا امر متوقع مادام مفهوم الفقر لم ينل من السيد الباحث اهتماما جادا يقنع القارئ بمعناه الذى تبناه • لقد اقحم السيد الباحث نفسه فى موضوع الفقر وهو موضوع شائك مازال الباحثون العلميون يتناولونه بالبحث والدراسة فى الماضى وفى الحاضر وسيفعلون ذلك بالضرورة فى المستقبل • ولم يكن هناك مايدعو السيد الباحث الى ذلك أبدا •

وفى ضوء ماذكره الباحث من نتائج يلاحظ القارئ انه حض رجال الدين (الاسلامى) وبخاصة أئمة المساجد والوعاظ على ضرورة توضيح معانى بعض آيات القرآن الكريم التى تدعو الى الاحسان والتصدق • واذا كان السيد الباحث قد فعل ذلك فأنه وجد ان المجتمعات الاسلامية المعاصرة لاتأخذ بالوسائل التى وضعها الدين (الاسلامى) لمعالجة مشكلة الفقر • وهو إذ يذكر المجتمعات الاسلامية يضع المجتمع المصرى على رأس القائمة !

وقد اكد السيد الباحث فى دراساته النظرية • وكل ماذكرته حتى الآن دراسات نظرية • ان ظاهرة التسول من الظواهر الاجتماعية التى تتسم بالاستمرارية • وهو يقصد انها كانت توجد فى مجتمعات العصور الوسطى ومازالت توجد حتى الآن فى المجتمعات المعاصرة •

وقد اكد الباحث نظريا أيضا أن الثقافة تلعب دورا فى اختلاف أساليب التسول وتنوعها • ومع ذلك فقد توجد أوجه شبه واختلاف فى أساليب المتسولين المنتمين الى ثقافات مختلفة • ويرى يرجع ذلك الى " الاحتكاك الثقافى بين المجتمعات مختلفى الثقافات الناشئ عن الهجرة الخارجية والغزو العسكرى والتجارة " •

ولعل ما ذكرته ان يكون مجرد عينة من النتائج التى وصل اليها عن طريق المراجع النظرية التى رجع اليها .

اما النتائج التى وصل اليها السيد الباحث عن طريق دراساته الميدانية ، وهى كما سبق ان ذكرت أهم نتائج الدراسة ، فاننا نجد أنه فى ضوء خبراته الواقعية يؤكد ان العاهات التى ينتحلها بعض المتسولين قد انقرضت وحلت محلها العاهات المصطنعة . وهو يرجع ذلك الى التقدم التكنولوجى فى ميحط المستحضرات الطبية والتجميلية ومحاولة هؤلاء المتسولين دائما الاستفادة من هذا الاسلوب ومن غيره بقصد استدرار عطف المتصدقين عن طريق التمويه والخداع (انظر صفحة ١٠٢ وصفحات ١١٢—١١٤) . وأقصد بالاستفادة من غير هذا الاسلوب استخدام أساليب اخرى تعتمد على التمويه والخداع سواء كانت المجالات الجغرافية حضرية أو ريفية أو بدوية . وسواء كانت أساليب التسول يمارسها أشخاص يختلفون من حيث السن والجنس والعوامل الفيزيقية . فالرجال يمارسون التسول بأساليب تختلف عن أساليب النساء اللاتى يمارسن التسول . والاحداث المتسولون يفعلون ذلك أيضا . وهناك أساليب تسول معينة ترتبط بالعاهات الحقيقية والتى تغنى المتسول المصاب بها عن استخدام العاهات المصطنعة .

ومن النتائج الهامة التى استطاع السيد الباحث أن يصل اليها عن طريق خبراته الواقعية وجود نظام سرى داخل جماعات المتسولين الذين عايشهم وتقمص شخصية واحد منهم سواء كان يمتهن التسول فى شوارع مدينة الاسكندرية وبعض مناطقها أو عندما كان احد نزلاء " ملجأ الهداية " يعيش فيه كنزيل من نزلائه ليلا ونهارا فترة غير قصيرة من الوقت . وقد ذكر السيد الباحث القواعد الخاصة بقبول المتسول الجديد من حيث الحقوق والواجبات سواء أكان من الذكور أم من الاناث الكبار منهم أم الاحداث . وقد نجح السيد الباحث إذ تمكن من معرفة الكثير من الالفاظ والعبارات التى تتضمن اللغة السرية للمتسولين الذين عايشهم واختلط بهم . وهى لغة كما لاحظت ثرية تشمل كل أو معظم حياة المتسول . فهى تشمل ما يدل على النقود

والطعام بألوانه والاماكن التى تكثر فيها الصدقات والأماكن التى تقل فيها الصدقات والاشخاص الذين يتعامل معهم من المتصدقين والمحسنين وفضلا عن ذلك وربما تكون على رأس القائمة الفاظ اللغة وعباراتها المتعلقة برجال الشرطة من حيث التحذير من وجودهم أو الاختفاء عنهم • وقد اكد السيد الباحث •بحق •ان هذه اللغة على الرغم من انها سرية فان ألفاظها وعباراتها تتجدد باستمرار وذلك لكى تقوم بنفس الاغراض المشار إليها •

واهتم السيد الباحث بإبراز الخصائص المميزة للعلاقات بين المتسولين الزملاء الجدد منهم والقدامى فضلا عن علاقات أعضاء جماعات المتسولين الذكور منهم والاناث والاحداث بالزعيم • وقد اكد السيد الباحث على ان هذه العلاقات تسودها على وجه العموم المودة وان كان يشوبها فى بعض الاحيان الاستغلال والحقد واستخدام الالفاظ النابية والتى يراها الباحث انها " مقززة للغاية " • (انظر صفحتى ٣٤٠-٣٤١ وصفحة ٣٧٦) •

وقد انتقد السيد الباحث مؤسسات الايداع سواء أكانت تستقبل الاحداث المتسولين أم البالغين المتسولين •فهى لاتؤدى ادوارها التربوية بل على العكس تكسب نزلاءها وبخاصة الاحداث منهم انماطا اجرامية جديدة • فهو فى ضوء خبرته التى اكتسبها فى العمل الميدانى لاحظ أن المتسول لايجد أى نوع من الرعاية الاجتماعية • وفى ضوء ماذكر فى هذا التقرير الموجز يلاحظ القارىء ان المتسولين يتخذون من الملجأ الذى يودعون فيه " لوكاندة " ويجعلون منه وكرا للجريمة بأنماطها أو يتخذونه سوقا تجارية لتحقيق المكاسب المادية حيث يعرضون فيها شتى السلع ومنها المخدرات بأنواعها ومايصنعونه من أنواع الخمور وغيرها من السلع التى قد يحتاجها بعض النزلاء غير القادرين على الخروج لعجزهم عن ذلك بسبب العاهات الجسيمة التى تعوق حركتهم • ويحصل الاخيرون على السلع التى يحتاجونها نظير الثمن الذى يفرض عليهم فرضا والذى يدفعونه من النقود التى فى حوزتهم حتى

تكون قد وصلت اليهم من الاقارب أو من المحسنين الذين يأتون الى الملجأ في المواسم والاعياد من أجل ذلك.

ولعل اكتشاف السيد الباحث وجود بعض الاشخاص ضعاف العقول فعلا سواء أكانوا من المتسولين المقبوض عليهم أم من المتسولين المتطوعين في احدى المؤسسات يكفي لادانة المسئولين الذين يملكون مقدرات هذه المؤسسة • ان وجود هؤلاء لا يسبب متاعب للنزلاء الاصحاء عقليا فحسب بل يثير في نفوسهم دوافع الاستغلال الشهين للاولين • فضعاف العقول بين الاصحاء يعيشون ليس فقط غرباء أو مغتربين بل أيضا أشخاصا مستضعفين •

والملاحظ ان السيد الباحث لانه شاب لم يستطع ان يجمع الحقائق المتوقعة بطريق مباشر عن حياة المتسولات نزيلات " مؤسسة الاحداث المتسولات للبنات بمحرم بك" • كل ماذكره في الرسالة عن هذا الموضوع استقاه من مديرة المؤسسة • وقد ذكر الباحث ان مدة ايداع النزيلة لاتزيد على ثلاث سنوات وأنه لا يوجد نظام " الرعاية اللاحقة " بعد خروج النزيلات من المؤسسة بعد قضاء هذه المدة • وقد دعا السيد الباحث الى ضرورة دراسة حياة المتسولات داخل المؤسسة باستخدام اسلوب الملاحظة بالمعايشة • لانه يرى ان كل ماهو مدون بالسجلات غير صحيح • واذ يدعو الباحث الى هذه الدعوة فانه يرى بحق ان تقوم بالدراسة المشار اليها باحثات متخصصات حتى يتحقق الامل المنشود منها •

وقد وجدت ان السيد الباحث كان حريصا على اثبات الفرض الذي ذكره في المقدمة والذي كما زعم ان البحث (او الدراسة) الذي قام به (على علاقة) يقوم أيضا على هذا الفرض• ولعل قارئ التقرير الموجز الحالي ان يجد نص هذا الفرض في (ثالثا ـ مضمون الدراسة) • والملاحظ ان النص الذي سجله السيد الباحث فيه الكثير من عناصر الجرأة التي تبين في جلاء ثقته في نفسه • فقد حاول ان يضع الفرض كسؤال أو استفسار يجيب عنه البحث الذي تضمه الرسالة ، أقصد تجيب عنه

نتائج هذا البحث. والمعلوم ان الباحث العلمي الاجتماعي يختار موضوعا ويحدد مجالاته ويختار المنهج وادواته (في ضوء طبيعته) ثم يحاول تحليل ما يجمع من حقائق ويستخرج منها أهم النتائج وفي ضوء هذه النتائج يتأكد من صحة فرضه اذا كان هدفه ان يفعل ذلك ، واذا كان باحثا متواضعا يحاول ان يستخلص فرضا أو اكثر على هدى ماوصل من نتائج ثم يقترح بحوثا أو دراسات أكثر عمقا لكي تحقق هذا الفرض أو هذه الفروض. ولكن الباحث بدأ بالفرض وحاول عن طريق بحثه (أو دراسته) اثباته .

وفي ضوء محاولاتي في فرز الغث من الثمين في الدراسة التي تضمها رسالة السيد الباحث وجدت أنه قد اثبت أهم عناصر فرضه . ولعل قارئ التقرير الموجز ان يوافقني على ذلك . لقد اكد السيد الباحث في ضوء الدرر الثمينة التي جمعها عن طريق اسلوب الملاحظة بالمشاركة ان يبين ما يلي :

١ ـ ان المتسول ليس فقط هو الشخص الذي يبدو دائما من مظهره الخارجي في حالة حاجة وعوز .

٢ ـ ان هناك فعلا فئة من المتسولين تتخذ من التسول مهنة اساسية ووسيلة مشروعة للعيش .

٣ ـ ان هذه الفئة تنتمي الى ثقافة فرعية معينة .

والملاحظ ان محاولاته في اثبات ان هناك مجتمعا للمتسولين (انظر عنوان الرسالة) كانت غير ذي موضوع . ان المتسولين في مدينة الاسكندرية في ضوء خبراته الميدانية الرائعة هم جماعة ذات ثقافة فرعية فعلا . ثقافة لها اهداف واساليب معاشية تحقق هذه الاهداف في ظل قيم اجتماعية ومبادئ ومثل عليا معينة وعادات وتقاليد ولغة خاصة . وقد تعتبر جماعة المتسولين في ضوء ماوصل اليه السيد الباحث من نتائج جماعة من جماعات الاقلية في المجتمع الاسكندري ولا يمكن ان تكون مجتمعا .

xxxxxxxxxxxxxxxx

خامسا ـ بعض الملاحظات:

١ ـ ملاحظات شكلية •

٢ ـ ملاحظات تتعلق بالمضمون •

١- ملاحظات شكلية :

الملاحظات الشكلية أى تلك التى تمت الى شكل عرض موضوع الرسالة وجـــدت الكثير منها • ومن ذلك طول الدراسة على الرغم من حرص الباحث على الاحتفـــاظ بالاطار العلمى الذى وضع فيه المضمون • ومع ذلك فان قارئ الرسالة يلاحظ الاخطاء العديدة الواردة فى ثنايا الصفحات• سواء أكانت اخطاء لغوية أم اخطاء مطبعيـــة، وسواء أكانت الاخطاء تتعلق بما كتب باللغة العربية أو بما كتب باللغة الانجليزيـــة، أى اللغة الأجنبية الوحيدة التى استخدمها السيد الباحث•

وعلى الرغم من ان الباحث قد اهتم مشكوراً بتسجيل هوامش كل فصل من فصـــول الدراسة على حدة ، وان " التمهيد " الذى رأى أن يضيفه الى الدراسة بعـــد المقدمة كان له أيضا هوامش مسجلة فى نهايته ،فانه من الملاحظ ان تسجيل المراجع لم يكن التسجيل العلمى المتفق عليه بين الباحثين العلميين الجادين • فترى السيـد الباحث لا يتبع الصيغة التى يجب تسجيلها ،أى ان يذكر اسم المؤلف ثم اسم المؤلـف (الكتاب أو المقالة) ثم مكان النشر ثم اسم الناشر ثم تاريخ النشر ثم رقم الصفحـــة أو ارقام الصفحات• وفى حالة وجود مقالة يذكر بين قوسين المرجع الذى نشرت فيـــه المقالة سواء أكان هذا المرجع كتابا أم موسوعة أم مجلة وتاريخ النشر ورقم الصفحـــة أو ارقام الصفحات• لم يفعل السيد الباحث كل ذلك ابدا • وان كنت تراه يكتب المرجع ولا يكتب بلا عذر مكان نشره أو تاريخ نشره وان كان كتب اسم مؤلفه • فعل ذلك فـــى الهوامش وفعل ذلك فى ثبت المراجع سواء كانت هذه المراجع عربية أو انجليزية •

وقد يتبين طموح السيد الباحث الزائد على الحد اذا عرف قارئ التقرير الحالى ان عدد المراجع التى رجع اليها ٢١١ مرجعا منها ١٩٣ مرجعا باللغة العربيـــة و١٨ مرجعا باللغة الانجليزية •

٢ ـ ملاحظات تتعلق بالمضمون :

وفى ضوء ماذكرت فى الصفحات السابقة وبخاصة ماتعلق منها بمضمون الدراسة واهم نتائجها ، يلاحظ قارئ هذا التقرير بعض الملاحظات لعل أهمها ان السيد الباحث سجل مضمون دراسته ككل عضوى ، فهو لم يقسمها الى " دراسة نظرية " و" دراسة ميدانية " بل حاول أن يجعلها دراسة تكمل بعضها ببعض . ولكن فى الوقت ذاته لم يستطع ان يكبح جماح حماسه فزاد من الحديث وأطال دون ما داع مما جعل قارئ رسالة يتخبط فى متاهات ما استقاه من معلومات نظرية لنتقلل من شأن الرسالة اذا لم تكن موجودة . فقد كانت معلومات قديمة قد غى على نتائجها الزمان واصبحت فى الوقت الحاضر غير ذات موضوع . صحيح لقد اهتم السيد الباحث فى بعض الاحيان باشياء ضرورية مثل شرح مفهوم الفقر مثلا ، ولكنه اعتمد على تفسيرات عديدة لكى يصل الى مبتغاه . وحتى مفهوم الفقر الذى شرحه السيد الباحث وبدا وكأنه يتبناه (انظر صفحة ٣٩) تراه قد أخذه عن احد المراجع النظرية (انظر صفحة ٩٧) . وما لبث ان تركه الى غيره واذ كنت لا أرى أنه لا عيب على الباحث أن يتبنى مايتبناه من معنى لمفهوم فانى أرى أن العيب ان لا يثبت على هذا التبنى حتى لا يضع قارئه فى متاهات أو يجعله يعيش فى ضباب فكرى لا ضرورة له .

وقد ذكر من قبل مازعمه السيد الباحث عن قيامه بدراسة حالة بعض المتسولين . وبدا لى وأرجو ان يوافقنى قارئ هذا التقرير الموجز على ان مفهوم دراسة الحالة كمنهج أو حتى كأداة لجمع البيانات غير واضح لدى السيد الباحث وأن ماقام به لم يكن تطبيقا لمفهوم دراسة الحالة .

ومن الامور التى تلفت نظر القارئ ماكتبه السيد الباحث عن الجريمة وعواملها وعلاجها وغيرها من الموضوعات النظرية التى لا يحتاجها الموضوع الذى يقوم بدراسته .

صحيح ان الكثير الذى سجله السيد الباحث عن حياة المتسولين فى المؤسسات وبخاصة ماتعلق بالموبقات التى تجرى بين جنباتها وبالحالة الصحية لنزلائها وبشغف يتهم فضلا عن معاملتهم سواء صدرت هذه المعاملة عن المسئولين على هذه المؤسسات أو عن " الزعيم " الذى يسوسهم ويعتمد عليه هؤلاء المسئولون ، وان رفع صوت السيد الباحث منذرا بما يحدث بين جنبات هذه المؤسسات - أمور تلفت نظر كل غيور على الصالح العام ، وهى بالضرورة تدعو الى التأمل . وذلك لان ما اثبته السيد الباحث يعنى ليس فقط ضياع الاموال والوقت ولكنه يعنى أيضا تخريب نفوس بعض أبناء الوطن غير المحظوظين الذين ، فى ضوء ظروفهم الثقافية والاجتماعية فضلا عن أحوالهم التى اضطرتهم الى الايداع فى هذه المؤسسات ، فى مسيس الحاجة الى اعادة تنشئتهم الاجتماعية ليخرجوا الى المجتمع مواطنين صالحين بعد أن دخلوا فيها عندما كانوا مواطنين طالحين .

وقد يلاحظ قارئ الرسالة ان السيد الباحث ذكر فى ثناياها أن المتسول قد يجمع مع التسول السرقة وقد ينضم الى عصابات . وقد ذكر ايضا عن المتسول المودع فى المؤسسة أنه قد أصبح التسول عنده مهنة يمارسها ليس فقط خارج المؤسسة وانما ايضا وهو نزيل فيها فتراه أى المتسول يجمع الفضلات المتبقية من أغذية المؤسسة أو أماكن الطعام الموجودة فيها !

وقد حسرت كما قد يفعل ذلك من يحاول القيام بكتابة تقرير موجز عن الرسالة . وعشت فى أثناء قراءتى لما كتب عن مضمونها منذ اللحظة الأولى أى عندما قرأت أن عبارة " مجتمع المتسولين فى مدينة الاسكندرية " هى عنوان الرسالة ، وفى اثناء محاولة السيد الباحث اثبات ذلك فى ضوء " المنهج الانثروبولوجى " تارة أو " المنهج البنائى الوظيفى " تارة أخرى أو " المنهج المقارن " تارة ثالثة . والملاحظ ان السيد الباحث من أجل أن يقول انه يعرف عن " النظرية البنائية " عند " ليفى استراوس " شيئا

أو أشياء حاول متعسفا ان يجعل من " فئة المتسولين " أو من " جماعة المتسولين " كما ذكر ذلك أيضا ، مجتمعا ، صحيح انهم كفئة أو كجماعة يعيشون فى المجتمع المحلى بمدينة الاسكندرية ولكنهم لا يكونون مجتمعا بل هم فى ضوء العلم الاجتماعى يعتبرون " جماعة ذات ثقافة فرعية " وقد ذكر السيد الباحث ذلك بوضوح ، ومن ثم كانت حيرتى التى يبدو أن مرجعها الى ان الباحث رأى اثبات باعه الكبير ليس فقط فى اجراء دراسته الميدانية الرائعة ولكن أيضا فى دراسته النظرية الغامضة !

والمعلوم ان السيد الباحث قد استخدم اسلوب الملاحظة بالمشاركة ، فقد اتيحت له الفرصة وكان شجاعا فانتهزها وتعايش مع المتسولين موضوع دراسته ولاحظ اساليب حياتهم بعد ان حظى بثقتهم ، وأرجو ان يذكر قارئ التقرير الحالى مافعله السيد الباحث لكى ينخرط فى صفوف المتسولين ، انه أى السيد الباحث قد ادعى ان له شقيقة تمتهن التسول وهى نزيلة فى احدى المؤسسات تقضى فيها مدة الحكم عليها بعد إدانتها فى تهمة التسول وقد اقنع احد المتسولين المحترفين الذى كان يبغى الزواج بأنه سيزوجه اخته الشقيقة بعد الافراج عنها ، عندئذ قدمه المتسول المحترف الى زعيم المتسولين على انه أى الباحث متسول ولا يخشى منه وانه يكفله ، هذه رواية السيد الباحث عندما تحدث عن كيف انه تقمص شخصية المتسول المحترف ودخل فى زمرة جماعة المتسولين وعايشهم ولاحظهم ومن ثم استطاع ان يجمع مادته العلمية عنهم وعن حياتهم وهم يجوبون شوارع مدينة الاسكندرية وماحولها من مناطق كانوا يتسولون فيها ، وقد ذكر السيد الباحث ان هذا الكفيل كان قد تعرف عليه " فى ملجأ الهداية " حيث كان يعيش فيه ليلا ونهارا بحجة انه قبض عليه متلبسا بتهمة التسول ، فأصبح احد نزلائه يعيش حياتهم ويلاحظ انماط سلوكهم ،

وقد فعل السيد الباحث كل مايقتضيه هذا الاسلوب (أى اسلوب الملاحظة بالمشاركة) ، فقد اصبح كباحث اجتماعى عضوا فى جماعة المتسولين التى يقوم بدراستها

وشارك فى كل مظاهر حياتها ، واصبح فعلا وحقا جزءا من هذه الجماعة . ولست ادرى وأنا اكتب ما اكتب على حذر مما اكتب ، لست أدرى اذا كان أعضاء جماعة المتسولين أو بعضهم أو احد منهم (الكحيل مثلا) يعلم ان للسيد الباحث دورا آخر هو دور الباحث العلمى الاجتماعى الذى يطبق المنهج الانثروبولوجى أو لا . اننى فى ضوء خبراتى فى ميدان البحث العلمى الاجتماعى أعلم ان دور الباحث المزدوج قد يكون معروفا . ولدينا المثال الذى ذكرته من قبل عن الاميريكى " توماس موت أوسبورن " الذى اصر على ان يودع نفسه فى سجن " اوبورن " فى ولاية " نيويورك " ودخل هذا السجن تحت رعاية مديره الذى أوصى به بدوره زعيم نزلاء هذا السجن لحمايته (ملاحظة كل جماعة من الناس يعيش أعضاؤها معا فى ظروف معينة تقتضى وجود علاقات بينهم يظهر من بينهم عادة زعيم تتسم شخصيته بسمات معينة تؤهله للقيام بهذا الدور . وقد يوجد اكثر من زعيم يكونون الاقلية التى تتحكم فى الاغلبية . والامثلة على وجود هذه الظاهرة عديدة ، فهى توجد فى السجن وفى غير السجن ، فى الجيش أو فى المدرسة الداخلية مثلا) .

وقبل ان اختم هذه الملاحظات التى تتعلق بمضمون الدراسة أود ان اذكر قارئ هذا التقرير بأن السيد الباحث قد ذكر اسم " زعيم " المتسولين صراحة فى ثنايا مضمون الدراسة التى تضمها الرسالة . صحيح انه ذكر الاسم الاول له فقط (الشيخ عاشور) . والسؤال هل هذا الاسم اسم الزعيم فعلا أو مجرد اسم مستعار ؟ فاذا كان هذا الاسم هو اسم الزعيم فعلا فقد ذكره السيد الباحث وعدد الكثير من الموبقات التى يرتكبها بنفسه أو تحت إشرافه ورعايته . والمعلوم ان من آداب مهنة البحث العلمى الاجتماعى ان نحتفظ بسرية علاقاتنا . والشيخ عاشور هذا كان فى دراسة السيد الباحث عميلا . وبهذه المناسبة فاننى لاحظت ان السيد الباحث لم يذكر شيئا

عن اتخاذ اسما مستعاراً له عند معايشته أعضاء جماعة المتسولين وبخاصة وهو في " ملجأ الهداية " وعندما كان يجوب الشوارع في مدينة الاسكندرية متقمصا شخصية احد المتسولين ،من عدمه ،لقد فعل ذلك "توماس موت أوسبورن" عندما دخل سجن " اوبور ن" عندما اتخذ اسم" توم براون" اسما مستعارا له • فهل فعل ذلك السيد الباحث او لم يفعل ؟ انه لم يذكر شيئا عن ذلك•

xxxxxxxxxxxxxxxxx

سادسا - الخاتمـــــة

قد يقول قائل ان الباحث لم يأت بجديد ، وان معظم ماوصل اليه من نتائج ، سواء أكانت نظرية أم كانت فى ضوء خبراته الميدانية ، أمر معروف، فالنظرى منهـــا مدون فى الكتب وتلك التى استخلصها من خبراته الميدانية يعرفها العاملون فـــى ميدان المؤسسات التى يودع فيها الاشخاص المجرمون والجانحون سواء اكانوا رجـــال شرطة أم رجال نيابة ام قضاة ام العاملين فى المؤسسات العقابية وفى المؤسسات الاخرى، ويعرفها ايضا نزلاء هذه المؤسسات الاحداث منهم وغير الاحداث، اذن ، مـــازال يقول هذا القائل ، ماالذى فعله السيد الباحث ؟ وما الجديد الذى أتى به ؟ فكل الذى أتى به كان معروفا . ولعل الاجابة عن ذلك ان تكون فى الاجابة عن الســـؤال الآتـى : من الذى كان يعرف ؟ ان من كان يعرف عن الموبقات التى تستشرى فـــى المؤسسات العقابية وغيرها من المؤسسات عدد قليل جدا من أعضاء المجتمع، وكـــان هؤلاء الاعضاء إذ يعرفون مايعرفون يرون انه أمر عادى لا يمس كرامة الانسان فى شئ ! ولعلهم كانوا يرون ان الاشخاص الذين يعيشون فى القهر فى ظل المناخ الثقافـــى الاجتماعى لهذه المؤسسات يستحقون ماينالهم من اهمال متعمد وعدم رعاية انسانيـــة وزيادة، وبالذات لعلهم كانوا يرون فى الاشخاص المتسولين انهم مجرد كم مهمل بـــل هم عار على المجتمع يستحقون البتر أو على الاقل يستحقون مايلاقون من اهمال متعمـــد وعدم رعاية تحقق انسانيتهم وتؤكدها . ولكن السيد الباحث لم يكن يرى هذه الآراء ، فهو ككل باحث علمى اجتماعى كان حريصا على ان يعرف موضوعيا مايحدث فى محيـــط جماعات المتسولين سواء كانوا يمتهنون حرفة التســول فى شوارع مدينة الاسكندريـــة أو كانوا نزلاء فى السجن وفى المؤسسات الاخرى . انه كافح من اجل ذلك وعرض نفســـه للاخطار ونجح ، مانى ذلك من شك ، فى تحقيق ماكان يصبو اليه . وهو ككل باحث علمى اجتماعى لم يكن يريد ان يعرف موضوعيا مايحدث لهؤلاء الاشخاص غير المحظوظين مـــن أعضاء المجتمع المصرى المعاصر لمجرد المعرفة . انه كان ومازال يرجو ملحا أن يغـــير

الاوضاع المهنية التي تكون من وراء وجود ظاهرة التسول وجماعات المتسولين • ولانه باحث على اجتماعي تراه لم يكتف بذلك بل تجده يلح الحاحا كبيرا في التغيير الى الافضل : تغيير هذه الاوضاع المهنية وتغيير جماعات المتسولين ،عن طريق اعادة تنشئتهم ،الى الافضل أيضا •

لقد فعل السيد الباحث كل ذلك ودعا الى الاصلاح في ضوء نتائج دراسته التي تضمها الرسالة التي قدمها من أجل الحصول على درجة الماجستير• وانني إذ أشعر بل واعلم مدى المعاناة التي لاقاها في سبيل تحقيق ما يصبو اليه ، أشعر واعلم أيضا مدى الشجاعة التي استطاع ان يواجه بها كل الصعوبات التي صادفها وصادفته من أجل تحقيق هذا الهدف الكبير •

وأرجو ان يتأكد قارئ هذا التقرير الموجز من أنني لا اغالي في الاشادة بما فعله السيد الباحث ،وما عليه اقصد القارئ الا أن يتذكر ما حاولت ابرازه من قصور وهفوات في الدراسة التي تضمها الرسالة والتي كان من المتيسر على السيد الباحث ان يتفاداها • ومهما يكن من الامر فكما قلت من قبل: ان الكمال لله وحده ،وان السيد الباحث بشر مثلنا يخطئ ويصيب• ولعله ان يراجع نفسه اذا ما اقتنع بما وجدته من قصور وهفوات• ومع ذلك فانني ارى ،واؤكد ما أرى ،أن السيد الباحث في ضوء نتائج دراسته الميدانية يعتبر رائدا • وهو عندي لا يقل قدرا عن " توماس موت أو سبورن " • ان الثاني كان امريكيا قد عمل عملا رائدا منذ أكثر من سبعين عاما • وقد واجه المجتمع الامريكي بالحقائق المذهلة التي سجلها في كتابه " بين أسوار السجن " عن " سجن اوبورن " عندما عاش في هذا السجن لمدة " اسبوع واحد " كنزيل من نزلائه تحت اسم مستعار هو " توم براون " • وقد كان رد فعل المجتمع الاميريكي في ذلك الحين أي منذ اكثر من سبعين عاما ،على وجه العموم ، ايجابيا وبخاصة عندما اتيحت الفرصة لاوسبورن لكي يدير سجن سنج سنج وحاول في أثناء ادارته ان يدخل بعض الاصلاحات التي كان هدفها تحقيق انسانية النزلاء

مثل تطبيق نظام " الحكم الذاتى " ومثل الاستبدال بالعقوبات " التدابير التربوية " .
لقد دخل اسم أوسبورن التاريخ من أوسع ابوابه ،دخله كأحد المصلحين فى ميدان " علم العقاب " . واليوم نجد اسم " جمعية اوسبورن " فى المجتمع الاميريكى ملء السمع والبصر . وكانت قبل وفاته تسمى ب" الجمعية القومية لنشر المعلومات الجنائية " . وعندما مات فى عام ١٩٢٦ سميت باسم اوسبورن تخليدا له . وهى الآن تنشر المنشورات والمقالات عن " السجون " و" الاصلاحيات " و" المعاهد الاصلاحية " فى طول المجتمع الاميريكى وعرضه ،مما يعزز مكانة " علم العقاب " بعامة وذلك عن طريق الكشف عن المستويات غير السوية التى توجد فى بعض السجون الاميريكية وأساليب القهر وعدم المبالاة التى تمارس فيها سواء كانت هذه السجون من السجون الفيدرالية أو سجون الولايات فى المجتمع الاميريكى .

واذ أكتب ماكتبت فى هذه الخاتمة فاننى اؤدى واجبى كواحد من الباحثين العلميين الاجتماعيين الذين لايرضيهم فقط ان يعلموا موضوعيا ،عن طريق نتائج بحوثهم ودراساتهم ،عن الظواهر الاجتماعية وانماط السلوط البشرى والمواقف الاجتماعية فضلا عن العلاقات الاجتماعية ... الخ ،سواء كانت سوية أو غير سوية ــ بل يسرون أيضا ان يتغير كل ماهو غير سوى الى مايجب ان يكون أو الى مايمكن ان يكون ،أى يتغير الى الافضل فى ضوء قيم مجتمعنا المصرى الخالد وفى ضوء مبادئه ومثله العليا .

xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

((من الانتاج العلمى لكاتب التقرير))

١ - (مقرر) بحث ودراسة حالة موارد المياه وطرق صرفها فى حى بولاق ،جمعية الخدمات الاجتماعية بحى بولاق ،القاهرة ١٩٥١ .

٢ - مذكرات يوغسلافية : انطباعات وحقائق وآراء ،القاهرة ،مكتبة القاهرة الحديثة عام ١٩٦٤ .

٣ - من ملامح المجتمع المصرى المعاصر : ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، القاهرة ،دار مطابع الشعب ،عام ١٩٦٥ .

٤ - الخلود فى التراث الثقافى المصرى ، القاهرة ،دار المعارف بمصر عام ١٩٦٦ .

٥ - الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ،عام ١٩٦٦ .

٦ - (مترجم) ثورة الزنوج ،تأليف لويس لوماكس ،القاهرة ،الدار القومية عام ١٩٦٦ (كتب سياسية - ٣٨٢) .

٧ - محاولة فى تفسير الشعور بالعداوة ، القاهرة ،دار الكتاب العربى للطباعة والنشر عام ١٩٦٨ .

٨ - حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، عام ١٩٧٠ ،رقم الايداع ١٩٨٩ / ١٩٧٠ .

٩ - هتاف الصامتين : ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات فى المجتمع المصرى المعاصر ،القاهرة ،دار الطباعة الحديثة عام ١٩٧١ ،رقم الايداع ١٩٧١/٥٧٧٢ .

١٠– الخلود فى حياة المصريين المعاصرين : نظرة القادة الثقافيين المصريين نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى ، القاهرة ،الهيئة العامة للكتاب ، عام ١٩٧٢ ،رقم الايداع ٢٤٤٥/١٩٧٢ ٠

١١– نشأة مهنة الخدمة الاجتماعية فى مصر : تاريخ شخصى ،القاهرة ،دار الطباعة الحديثة ،عام ١٩٧٣ ، رقم الايداع ٢٣٣٣/١٩٧٣ ٠

١٢– عطاء المعدمين : نظرة القادة الثقافيين نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى ، بيروت ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،عام ١٩٧٣ ٠

١٣– (بالاشتراك) معجم العلوم الاجتماعية ، القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،عام ١٩٧٥ ،رقم الايداع ٣٦٩٩/١٩٧٥ ٠

١٤– حديث عن المرأة المصرية المعاصرة : دراسة ثقافية اجتماعية ، القاهرة ، مطبعة اطلس ، عام ١٩٧٧ ،رقم الايداع ٤٨٥٠/١٩٧٧ ٠

١٥– رسائل الى الامام الشافعى : ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ،دراسة سوسيولوجية ،الطبعة الثانية ، القاهرة ،الكويت ، امستردام ،دار الشايع للنشر ، ١٩٧٨ ٠

١٦– تجربة فى التنمية الحضرية المحلية : جمعية الخدمات الاجتماعية بحى بولاق فى ثلاثين عاما ، جمعية الخدمات الاجتماعية بحى بولاق ، القاهرة، ١٩٧٨ ٠

١٧– الابداع الثقافى على الطريقة المصرية : دراسة عن بعض القديسين والأولياء فى مصر ،دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨١ ٠

١٨– التاريخ الذى احمله على ظهرى : دراسة حالة (الجزء الأول ، الارض والبذور) ٠

١٩- التاريخ الذى أحمله على ظهرى : دراسة حالة (الجزء الثانى • ماء الحياة) •

٢٠- التاريخ الذى احمله على ظهرى : دراسة حالة (الجزء الثالث •الثمار) •

٢١- الازدواجية فى التراث الدينى المصرى (تحت الطبع) •

٢٢- مطالعات فى موسوعة المجتمع المصرى (تحت الطبع) •

xxxxxxxxxxxxxxxxxxx